كيف تتصرف بحكمة

فن السلوك

٢

خليل الموسوي

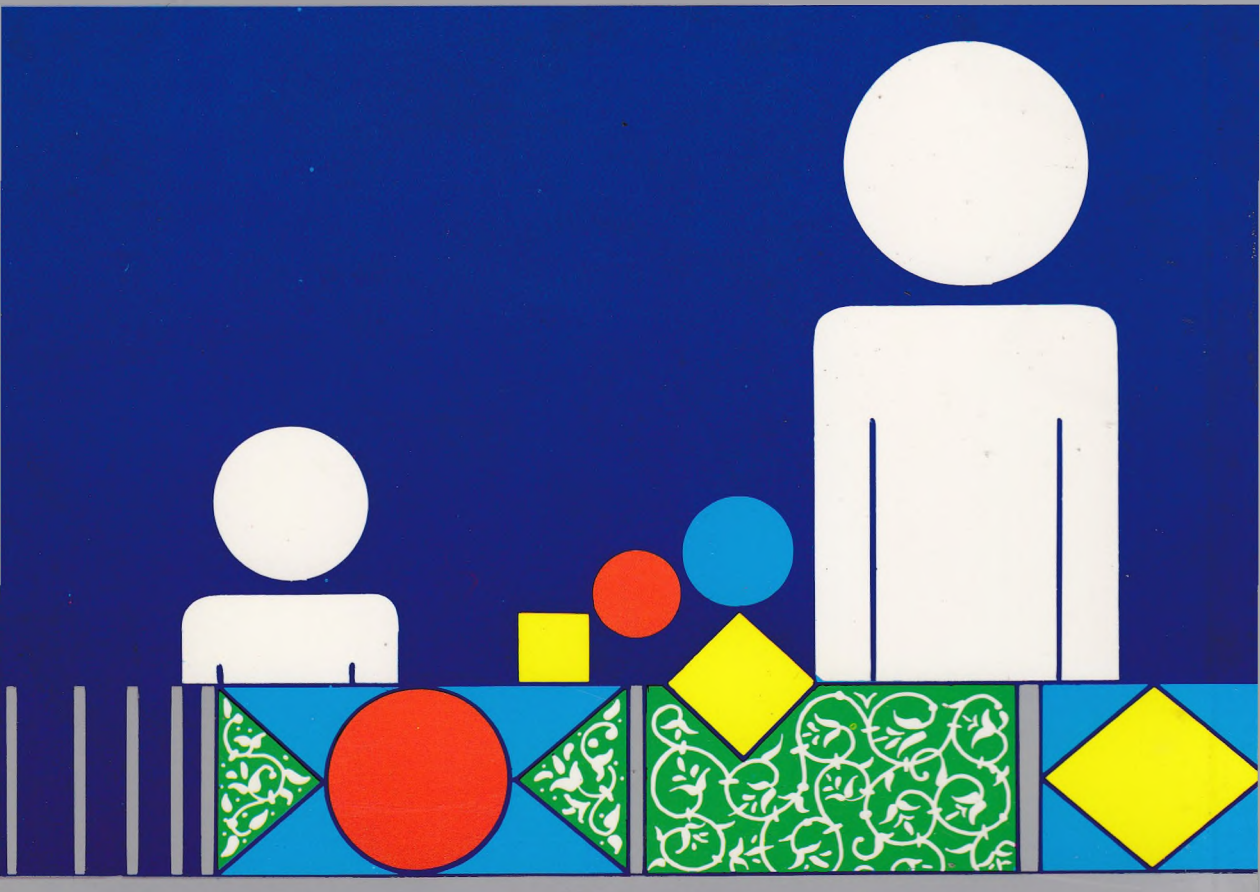

دار الأوجام
للطباعة والنشر والتوزيع

كيف تتصرف بحكمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ۝ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝

مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ۝ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِيْنُ ۝ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ۝

صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّيْنَ ۝

فنّ السلوك

٢

خليل الموسوي

كيف تتصرف بحكمة

دار الأوجام
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الروبس - خلف ستر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨/ ٧/ ٨٢٣٥٢٦ - ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٩٧/ ٢٥ و٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الى كل من ينشد التصرف الحكيم ، والسلوك القويم ، والنجاح ، والفلاح في حياته على ضوء الدين ، والايمان ، والرسالة الإسلامية الخالدة .

الى كل من أراد تربية نفسه ، وحملها على مقتضى الشرع ، والعقل ، والحكمة ، والأخلاق الإسلامية ، وممارسة العمل الصالح .

تقديم

قال تعالى : ـ

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلاّ أولوا الألباب﴾[1].

الانسان ـ في هذه الحياة ـ تارة يكون جاهلا، وتارة أخرى يكون عاقلا ولكنه لا يعرف كيف يستخدم عقله عمليا، وبالتالي فهو بحاجة الى العلم ، والحكمة التي تتطلب القضاء على الجهل ، واحلال الوعي ، والعلم مكانه ، بالنسبة للحالة الأولى ، واستخدام العقل بشكل حكيم في التصرف والسلوك العملي بالنسبة للحالة الثانية .

دعنا نضرب لذلك مثالا : ـ

فالانسان قد لا يعي ، عامل الزمن وقيمته ، فتراه يصرف الساعات ، والأيام ، والسنوات من عمره ، دون أن يدري ، وبشكل لا أبالي . ولكنه بمجرد ان يعيه ، ويحث على الاستفادة منه ، تراه ينظر الى الزمن نظرة جدية .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٩ .

أو انه يعرف عامل الزمن نظريا ، ولكنه بحاجة الى تصميم ، أو توجيه للاستفادة عمليا من هذه المعرفة ، فتراه بعد التوجيه ينظر نظرة عقلانية ، تطبيقية ، حكيمة لعامل الزمن .

والحكمة توفيق ، ومشيئة من الله الحكيم ، وهي خصلة قابلة للاكتساب ، اذا وفر الانسان في نفسه شروط الاكتساب . وهي ليست حكرا على أحد ، فمن يوفر في نفسه شروط الحكمة ، يوفقه الله لأن يصبح حكيما . ويصفها الله ـ جل وعلا ـ بالخير الكثير ، اذ عن طريقها يستطيع الانسان ان يتعامل مع الكثير من القضايا ـ في الحياة ـ ويتغلب على الكثير من العقبات والموانع التي تواجهه فيها .

والحكمة من صفات العقلاء ، ولا ينحصر مفهوم العقلاء في الفلاسفة ، أو الذين وصلوا الى مراحل علمية متقدمة ، أو الذين تخرجوا من الجامعات ، والكليات ، والمعاهد . وأنما يشمل كل انسان عاقل ، متفكر ، واع ، يعرف كيف يستخدم عقله في جعل معاملاته ، وتصرفاته ، وسلوكياته ، بعيدة عن الخطأ ، والانحراف ، والباطل ، مرضية للخالق ، مقبولة لدى عقلاء الناس .

ولا غرابة اننا نجد بعض الأميين ـ وان كانت الحكمة تستدعي المعرفة وتجاوز الأمية ـ نجدهم يتصفون بنوع من الحكمة في بعض الجوانب ، ذلك لأن تجاربهم في هذه الجوانب خلقت فيهم الوعي والاعتبار ، وبالتالي نجد تصرفاتهم ـ في هذه الجوانب ـ تأتي منطقية ، بعيدة عن الخطأ ، والانحراف . وهنا يبرز الدور الكبير للتجربة ، والاعتبار بها ، في خلق الوعي التنظيمي ، والحكمة في الانسان .

يقول الإمام علي (ع) : « قد يقول الحكمة غير الحكيم » (١) .

---

(١) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٧٩ .

اضافة الى ذلك أن الحكمة قد تعني أمرا مطلقا ، ولكن المقصود هنا بالحكمة باعتبارها قيمة الهية دينية ، تقود الانسان ـ في الدرجة الاولى ـ الى الهداية ، والتدين ، والايمان بالله ، وليس اي حكمة . ان هناك الكثير من الحكماء في التاريخ ، كانوا يتسمون بالحكمة في اكثر من مجال ، الاّ أنهم كانوا يفتقرون الى الهداية ، والتدين ، والايمان بالله . وهناك من العلماء ـ في عصرنا الحاضر ـ من يسخر علمه لتدمير البشرية او لتضليل المجتمعات ، او لتلحيدها بدلا من هدايتها ، وهناك من الحكماء من يسخر حكمته ـ في المجال المتخصص والمبدع فيه ـ لخدمة الشيطان ، وعبادة الذات ، والمادة ، واستغلال الانسان ، واستعباده . الاّ ان هذه الحكمة لا تعتبر حكمة حقيقية في المنظار الديني . لا سيما اذا عرفنا ان الحكمة لا تعني المعرفة العلمية أنى كان نوعها ، وانما هي القيمة التي تدخل في طياتها المعرفة ، ويدخل فيها الكثير من القيم الأخلاقية والإلهية ، والالتزامات السلوكية السوية ، التي تعرج بالانسان الى السماء ، وتبعده عن الانحراف ، والانفراط ، والوقوع في الأخطاء .

وهذا الكتاب هو محاولة بسيطة لتسليط الضوء على الحكمة ، باعتبارها قيمة عقلية أخلاقية اكثر من ضرورية ، يحتاجها الانسان ، في الخضوع والعبودية الى ربه ، وفي التعامل مع نفسه ، ومع الناس ، والعلاقات الاجتماعية معهم ، وفي كل الممارسات الحياتية ، وفي كل المعارف ، والعلوم التي يكتسبها ، والله نسأل ان يجعلنا على طريق الحكماء الذين يضعون الشيء في موضعه ، والله من وراء القصد .

خليل الموسوي

الأحد ١ / ربيع الأول ١٤٠٨ هـ

تعريف الحكمة

ما هي الحكمة ؟

هناك من يعتقد بأن للنفس الانسانية ، الناطقة قوتين ، وهما :

١ ـ قوة الادراك (القوة العاقلة) .

٢ ـ قوة التحريك (القوة العاملة) .

وللقوة الأولى شعبتان هما :

أ ـ العقل النظري .

ب ـ العقل العملي .

والعقل النظري ، هو القوة التي عن طريقها تنتقش الصور العلمية في ذهن الانسان . أما العقل العملي ، فهو القوة العاملة على تحريك جسم الانسان في الأعمال الجزئية بالرويّة . وبعبارة أخرى : ادراك ما ينبغي أن يعمل . وهذه الشعبة لها علاقة بقوتي الشهوة ، والغضب ، وعن طريق هذه العلاقة تحدث بعض الكيفيات الموجبة للافعال والانفعالات ، كالخجل ، والضحك ، والبكاء ، وغير ذلك ، ومن حيث استعمالها للوهم والخيال ، تعمل

على استنباط الآراء ، والأعمال الجزئية ، ومن حيث نسبتها بالعقل ، وحصول الازدواج بينهما ، هي سبب لحصول الآراء الكلية المتعلقة بالأعمال ، كحسن الصدق ، وقبح الكذب ، ونظائرهما .

وللقوة الثانية شعبتان أيضا ، هما :

أ ـ قوة الغضب .

ب ـ قوة الشهوة .

وقوة الغضب هي مبدأ لدفع الأعمال غير الملائمة ، حين تغلب هذه القوة ، وقوة الشهوة ، هي مبدأ لجلب الأعمال الملائمة .

ثم اذا كانت القوة الأولى (العاقلة) ، غالبة على سائر القوى ، وكانت هذه الآخيرة مقهورة لها ، ومطيعة ، كان تصرف الأخرى على وجه الاعتدال ، وحينها تنتظم أمور الانسان ، ويحصل تسالم ، وتمازج للقوى الاربعة ، فتهذب كل واحدة منها ، ويحصل له ما يخصه من الفضيلة . فيحصل من تهذيب العاقلة ، العلم ، وتتبعه الحكمة ، ومن تهذيب العاملة ، العدالة ، ومن تهذيب الغضبية ، الحلم ، وتتبعه الشجاعة ، ومن تهذيب الشهوية ، العفة ، وتتبعها السخاوة . وعلى هذا تكون العدالة ، كما لا للقوى العملية التي هي قوة التحريك ، ومن هنا يمكن القول ان الحكمة هي العدالة ، والعدالة هي الحكمة ، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، والعدالة ـ ايضا ـ كذلك .

وقيل : الحكمة تحقيق العلم ، واتقان العمل .

وقيل : ما يمنع الجهل

وقيل : هي الاصابة في القول .

وقيل : هي طاعة الله .

وقيل : هي الفقه في الدين .

وقيل : كل ما يؤدي الى مكرمة ، او يمنع من قبيح .

وقيل : ما يتضمن صلاح الدنيا والآخرة .

والتعاريف متقاربة ، ويظهر من الأخبار (الاحاديث والروايات الشريفة) انها العلوم الحقة النافعة مع العمل بمقتضاها . وقد تطلق على العلوم الفائضة من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على العبد ، بعد العمل بما يعلم[1] .

والحكمة في اللغة ، من الفعل (حَكُمَ) ، اي صار حكيماً . والحكمة هي الكلام الموافق الحق ، وهي الفلسفة . والفلسفة ، كلمة آتية من الفعل فلسف ، أو تفلسف ، اي تأنق ، وتفنّن في المسائل العلمية ، وهي علم الاشياء بمبادئها ، وعللها الأولى ، وهي كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين : (فيليا) التي تعني محبة ، و(صوفيا) وتعني الحكمة ، فيكون تأويلها محبة الحكمة . ويعرف اللغويون الفلسفة بالحكمة أيضا .

والحكمة هي صواب الامر ، وسداده ، والسداد هو الرشاد ، والاستقامة . وهي العدل الذي هو الانصاف ، واعطاء كل ذي حق حقه ، والملكة الباعثة على ملازمة التقوى ، كما يعرفه الفقهاء . وهي الحلم الذي هو ضد الطيش ، والغضب ، وضد الجهل والسفه ، والصبر ، والاناة ، والسكون مع القدرة والقوة ، وهو العقل . والحكمة هي الفهم ، والوعي ، ووضع الشيء في موضعه .

قيل للإمام علي (ع) : صف لنا العاقل (الحكيم) .

فقال : « هو الذي يضع الشيء ، مواضعه » . فقيل : فصف لنا

---

(١) بحار الأنوار ـ ج١ ـ ص٢١٥ .

الجاهل ، فقال : « قد فعلت »[1] .

ويقول (ع) :

« لا يرى الجاهل الاّ مفرطا ، او مفرّطا »[2] .

والافراط هو الزيادة والمبالغة في الشيء ، والتفريط ، هو التنقيص ، والتقصير فيه . والتقصير على نوعين :

التقصير : ويعني التقصير ، مع وجود العلم .

والقصور : ويعني التقصير ، في غياب العلم . وفي كلتي الحالتين يكون الانسان جاهلاً ، بعيداً عن الحكمة .

ويفسر بعض المفسرين كلمة « الحكمة » التي وردت في الآية الكريمة :

﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ « بانها المعرفة ، والعلم »[3] .

ومن خلال التعريفات الآنفة الذكر ، يتوضح لنا أن الحكمة هي الكلام الذي يعبر عن الحق ، والحق هو الرأي ، والاعتقاد الذي يطابقه الواقع ويلازمه الرشد ، من غير غيّ ، وهذه هي الحكمة ، فهي الرأي الذي أحكم في صدقه ، فلا يتخلله كذب ، وفي نفعه ، فلا يعقبه ضرر .

ومن هنا فان من صفات الانسان الحكيم أنه يفكر قبل أن تنطلق من على لسانه اي كلمة ، وكل كلمة ينطقها ، يحسب لها حسابا ، لكي تأتي موافقة ،

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٥١٠ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص١٥٥ .
(٣) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

مناسبة ، محقة ، وبالتالي يكون لسانه وراء قلبه (أي عقله) ، وليس كالأحمق الذي قلبه وراء لسانه .

وفي هذا المجال ، يقول الإمام علي (ع) :

« لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه »[1] .

فلكي تكون حكيما ، حاول دائما ان تتكلم في موضع الكلام ، وأن تسكت في موقع السكوت ، وان يكون كلامك موافقا يعبر عن الحق ، بعيدا عن الاهواء النفسية ، وحب الذات . وهكذا الحال بالنسبة ؟ والسلوك العملي ، فلكي تكون حكيما ، لا بد لك ان تفكر قبل ان تقدم على ممارسة أي عمل .

ومن الحكمة العلم بالاسباب والعلل ، لا بالظواهر والنتائج فقط، ومعالجة الأسباب لا النتائج في حالة وجود المشكلات . وهذا التعريف لا يقتصر فقط على القضايا الاعتقادية ، وانما يمكن الاستفادة منه في معالجة القضايا الحياتية المختلفة الأخرى ، صغرت ام كبرت . ولنضرب لذلك مثالا بسيطا : ـ

شخص يصاب بالقلق المصحوب بالأرق أثناء النوم ، فيعالجه كنتيجة واعراض ، فيذهب الى الطبيب المختص ، فيقوم الأخر باعطائه الاقراص المهدئة التي نادرا ما تفيد في ازالة القلق بشكل جذري . ولكنه لو فكر في علل ، واسباب القلق ، وعلاجها على هذا الأساس ، لكان العلاج أنجح ، وأجدى . فقد يكون سبب القلق ، عدم النوم الكافي ، او الخوف من المستقبل ، او الخوف من المجهول ، او الخوف من الحروب ، او الخوف من الموت ، او الخجل ، او المشاكل الزوجية ، او الافتقار الى برمجة الاعمال ،

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٤٧٦ .

او الازدحام الذهني اوالعجلة او عوامل وراثية او . . . وبمعالجة الأسباب الفعلية بشكل جدي يمكن للانسان ان يتغلب على القلق بشكل جذري .

وقس على ذلك ، الكثير من القضايا التي تواجه الانسان ، والتي هي بحاجة الى معالجة وتخطٍ ، لو أن الانسان استخدم فيها الحكمة ، وعالج أسبابها ، وعللها ، دون نتائجها وظواهرها ، لوفر على نفسه الكثير من المتاعب ، والجهود ، والأوقات .

والحكمة تعطي الانسان صوابية في أموره ، وتجعله سديدا ، رشيدا ، مستقيما ، الى درجة معينة ، لا تصل - بأي شكل من الأشكال - الى درجة العصمة ، التي فرّد الله بها الأنبياء ، والرسل (ع) ، والمعصومين من أهل البيت (ع) ، لأنها حكمته - تعالى - فيهم . ومن هنا يمكن القول ، بأن العصمة مرحلة متقدمة جدا من الحكمة ، وهي خاصة ، وليست عامة . ولكن بامكان الانسان اذا تعب على نفسه ، وروّضها ان يصل الى درجة من العصمة .

وعموما فان الحكمة تقود الانسان الى التفكير المنطقي ، والممارسة الحكيمة التي تقلل أخطاءه وزلاته . ومن الطبيعي أن من يفكر ، ويمارس ، ويتصرف عمليا بشكل منطقي ، لا شك أنه يكون حكيما ، سديدا ، رشيدا ، مستقيما في حياته .

والحكمة تعني العدل .

وقد تسأل : كيف يكون العدل معبرا عن الحكمة ؟

وللاجابة على ذلك ، نتساءل : ما هو العدل ؟

ان العدل كما تقدم ، هو الملكة الباعثة على ملازمة تقوى الله ، وخوفه ، وخشيته ، وهو الانصاف ، ووضع الشيء في موضعه . ومن الطبيعي أن من

يلازم الخوف من ربه ، فيعطي ربه حقوقه ، ويعطي الآخرين حقوقهم ، بما لكلمة الآخرين من معنى وتفصيل ، ويعطي كل شيء وجانب في الحياة حقه ، ويعطي نفسه حقها ، ويكون منصفا معها ، في جميع الحالات ، والظروف ، ويضع الاشياء مواضعها ، من الطبيعي أنه يكون حكيما .

وكيف تكون الحكمة هي الحلم ؟

والجواب :

لأن الحلم من تعاريفه ، العقل ، والعقل هو الحكمة . وسمي الحليم حليما لأنه عاقل ، ويجيد استخدام عقله ، على عكس ذلك الانسان الغضب الطائش ، الذي يتعطل عقله في كثير من الحالات ، ويطلق العنان لقوته الغضبية ، ولعواطفه ، وانفعالاته النفسية .

وكمثال على الحكمة والحلم وضبط النفس ينقل التاريخ أنه عندما برز الإمام علي (ع) في يوم الخندق ، لفارس يليل ، عمرو بن ود العامري ، وتبارزا ، وتصاولا ، طرح الإمام عمروا على الأرض ليقتله ، فتفل عمرو اللعين في وجه الإمام ، فأحجم الإمام عن قتله في هذه الحالة ، وتركه مدة من الزمن ، واخذ يتمشى دائرا في الميدان ، ثم رجع اليه ، واحتزّ رأسه .

ولما سئل الإمام عن السبب في ذلك ، أجاب بما معناه : انني خشيت ان اقتله لغضبي ، اي انني لم أرد قتله وأنا في حالة مغضبة ، فيكون القتل انتقاميا ، لنفسي ، وأنما أردت ان اقتله لله فقط . وهذه القصة تعطينا درسا مفعماً بالحكمة فيما يرتبط بالحلم ، وضبط النفس ، والتحكم في عواطفها ، وانفعالاتها . وما اكثر الحكم في حياة الانبياء ، والرسل ، وأئمة اهل البيت (ع)!

* * *

والحكمة هي العلم ، والمعرفة بأعيان الموجودات ، سواء كانت الموجودات الهية ، أي واقعة بقدرة الباري ـ عزَّ وجلَّ ـ ، أو موجودات انسانية ، اي واقعة بقدرة الانسان ، واختياره . والحكمة هي « استعمال العقل بالوجه الأصلح » .

يقول الإمام علي (ع) :

« الحكمة شجرة تنبت في القلب ، وتثمر على اللسان »[1] .

ولقد ذهب البعض الى تقسيم الحكمة الى قسمين :

١ ـ الحكمة النظرية .

٢ ـ الحكمة العملية .

ثم قسموا العملية الى ثلاثة أقسام ، أحدها علم الأخلاق ، المشتمل على الفضائل الأربع التي احداها الحكمة ، وحسب هذا التقسيم تكون الحكمة قسما من نفسها . ثم ذكروا أن الفضائل الأربع التي يشتملها علم الأخلاق هي :

١ ـ الحكمة . وهي معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه ، والموجودات ان لم يكن وجودها بقدرتنا ، واختيارنا ، فالعلم المتعلق بها هو الحكمة النظرية ، وان كان وجودها بقدرتنا ، واختيارنا ، فالعلم المتعلق بها ، هو الحكمة العملية .

٢ ـ العفة . وهي انقياد القوة الشهوية البهيمية[2] للقوة العاقلة فيما تأمرها به ، وتنهاها عنه ، حتى تكتسب الحرية ، وتتخلص من أسر عبودية الهوى .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٠ .

(٢) البهيمية من البهيمة ، حيث ان البهائم مفطورة على الشهوة .

٣ ـ الشجاعة . وهي اطاعة القوة الغضبية السبعية [١] للقوة العاقلة ، في الاقدام على الأمور الهائلة ، وعدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها ، حتى يكون فعلها ممدوحا ، وصبرها محمودا .

٤ ـ العدالة . وهي انقياد العقل العملي للقوة العاملة ، وتبعيته لها في جميع تصرفاته ، وضبطه الغضب ، والشهوة ، تحت اشارة العقل ، والشرع الذي يحكم العقل ايضا ، بوجوب اطاعته ، أو سياسة قوتي الغضب ، والشهوة ، وحملها على مقتضى الحكمة .

ويمكن القول ان التعاريف السابقة ، للحكمة ، والتي من ضمنها : صواب الأمر وسداده ، والعدل ، والحلم ، والفهم ، ووضع الشيء في موضعه ، والعلم بالاسباب والعلل ، هي كلها أجزاء ، او نتائج طبيعية للحكمة العقلية .

ويهمنا من كل ما سبق من تعاريف الحكمة : انها العلم او المعرفة الصحيحة الحقة التي على ضوئها يقوم الانسان بالعمل ، والتصرف في الواقع بشكل عقلاني ، ومشروع ، وعلمي ، وصائب ، ومتقن ، لتحقيق صلاح دنياه وآخرته .

وبعبارة أخرى : أنها المعرفة الحقة النافعة المتعلقة بالفكر والاعتقاد ، والعمل . أي وضع الشيء في موضعه على صعيد الفكر والعلم ، وعلى صعيد العمل والتصرف .

---

(١) السبعية من السبع وهو الوحش .

احاديث شريفة في العقل والحكمة

﴿ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب﴾ (آل عمران ـ ١٩٠) .

﴿وما يذكر الاّ اولوا الالباب﴾ (البقرة ـ ٢٦٩) .

﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ (البقرة ـ ٢٤٢) .

﴿وقالوا لو كنّا نسمع او نعقل ما كنّا في اصحاب السعير﴾ (الملك ـ ١٠) .

« ان الله تبارك وتعالى بشّر اهل العقل والفهم في كتابه ، فقال : ﴿بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب﴾ »[1] (الإمام الكاظم) .

« ان الله يقول : ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ يعني : العقل والفهم ، وقال : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ : الفهم والعقل »[2]. (الإمام الكاظم) .

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٣٩٤ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٣٩٥ .

« اول ما خلق الله العقل »[1] . (الرسول الاعظم) .

« عقل المرء نظامه »[2] . (الإمام علي) .

« العقل اقوى اساس »[3] . (الإمام علي) .

« العقل مركب العلم ، العلم مركب الحلم »[4] . (الإمام علي) .

« العقل منزّه عن المنكر آمر بالمعروف »[5] . (الإمام علي) .

« العقل صلاح كل أمر »[6] . (الإمام علي) .

« العقل حسام قاطع »[7] . (الإمام علي) .

« العقل رسول الحق »[8] . (الإمام علي) .

« العقل يصلح الروّية »[9] . (الإمام علي) .

« العقل يوجب الحذر ، الجهل يوجب الغرر »[10] . (الإمام علي) .

« العقل يهدي وينجي ، والجهل يغوي ويردي »[11] . (الإمام علي)

---

(١) المصدر السابق ـ ص٣٩٥ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٣٩٥ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٣٩٦ .
(١٠) الغرر والدرر .
(١١) المصدر السابق.

« لا غنى اكبر من العقل »[1]. (الإمام علي) .

« قوام المرء عقله ، ولا دين لمن لا عقل له »[2]. (الإمام علي) .

« ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل . . . »[3] . (الرسول الاعظم) .

« لما خلق الله العقل استنطقه ، ثم قال له : اقبل فأقبل ، ثم قال له : ادبر فأدبر ، فقال : وعزتي وجلالي! ما خلقت خلقاً احسن منك ، اياك آمر ، واياك أنهى ، واياك أثيب ، واياك اعاقب »[4]. (الإمام الباقر) .

« العقول ائمة الافكار ، والافكار ائمة القلوب ، والقلوب ائمة الحواس ، والحواس ائمة الاعضاء »[5]. (الإمام علي) .

« العقل أصل العلم ، وداعية الفهم »[6]. (الإمام علي) .

« دعامة الانسان العقل ، ومن العقل ، الفطنة والفهم والحفظ والعلم . . . »[7] (الإمام الصادق) .

« بالعقل تدرك الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً »[8]. (الإمام الحسن) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٣٩٧ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٣٩٧ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٣٩٨ .
(٤) اصول الكافي ـ ج١ ـ ص٢٦ .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص٤٠٠ .
(٦) الغرر والدرر .
(٧) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٠١ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٠١ .

« انما يدرك الخير كلّه بالعقل ، ولا دين لمن لا عقل له »[1] . (الرسول الاعظم) .

« بالعقل استخرج غور الحكمة ، وبالحكمة استخرج غور العقل »[2] . (الإمام علي) .

« ان لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة عليهم السلام . واما الباطنة فالعقول »[3] . (الإمام الكاظم) .

« لا مصيبة كعدم العقل »[4] . (الإمام الباقر) .

« العقل خليل المرء »[5] . (الإمام الحسن) .

« العقل خليل المؤمن »[6] . (الإمام علي) .

« العقل صاحب جيش الرحمن ، والهوى قائد جيش الشيطان ، والنفس متجاذبة بينهما ، فأيهما غلب كانت في حيّزه »[7] . (الإمام علي) .

« ان العقل عقال من الجهل ، والنفس مثل اخبث الدواب ، فان لم تعقل حارت »[8] . (الرسول الاعظم) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٠١ .
(٢) أصول الكافي ـ ج١ ـ ص٢٨
(٣) المصدر السابق ـ ص١٦ .
(٤) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٠٣ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٠٤ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٠٤ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٠٥ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٠٦ .

« العقل ان تقول ما تعرف ، وتعمل بما تنطق به »[1] . (الإمام علي) .

سئل الحسن بن علي (عليهما السلام) فقيل له : ما العقل ؟ فقال : « التجرّع للغصة حتى تنال الفرصة »[2] .

سئل الإمام الرضا (عليه السلام) : ما العقل ؟ قال : التجرّع للغصة ، ومداهنة الاعداء ، ومداراة الاصدقاء »[3] .

« اصل الانسان لبّه ، وعقله دينه »[4] . (الامام علي) .

« انما العقل في التجنب من الاثم ، والنظر في العواقب ، والاخذ بالحزم »[5] . (الإمام علي) .

« ان الله تبارك وتعالى خلق العقل من نور مخزون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، فجعل العلم نفسه ، والفهم روحه ، والزهد رأسه ، والحياء عينيه ، والحكمة لسانه ، والرأفة فمه ، والرحمة قلبه ، ثم حشّاه وقواه بعشرة اشياء : باليقين ، والايمان ، والصدق ، والسكينة ، والاخلاص ، والرفق ، والعطية ، والقنوع ، والتسليم ، والشكر . . . »[6] . (الرسول الاعظم (ص) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٠٦ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٠٧ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٠٧ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٣٠٧ .
(٥) الغرر والدرر .
(٦) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٠٧ .

« العقل والعلم مقرونان في قرن لا يفترقان ولا يتباينان »[1]. (الإمام علي) .

« العقل حفظ التجارب ، وخير ما جرّبت ما وعظك »[2]. (الرسول الاعظم) .

« العقول مواهب ، والآداب مكاسب »[3]. (الإمام علي) .

« العقل عقلان : عقل الطبع وعقل التجربة ، وكلاهما يؤدي الى المنفعة »[4] . (الإمام علي) .

« العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب »[5] . (الإمام علي) .

« اعون الاشياء على تزكية العقل ، التعليم »[6] . (الإمام علي) .

« كثرة النظر في العلم يفتح العقل »[7] . (الامام الصادق) .

« كثرة النظر في الحكمة تلقح العقل »[8] . (الإمام الصادق) .

« كمال العقل في ثلاث : التواضع لله ، وحسن اليقين ، والصمت الاّ من خير »[9] . (الإمام الصادق) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤١٢ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤١٢ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤١٣ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤١٣ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٢٦ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٢٦ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٢٦ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٢٦ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٤٢٧ .

« كمية الفعل تدلّ على كمية العقل »[1] . (الإمام علي) .

« رأي الرجل ميزان عقله »[2]. (الإمام علي) .

« ستة تختبر بها عقول الناس : الحلم عند الغضب ، والصبر عند الرهب ، والقصد عند الرغب ، وتقوى الله على كل حال ، وحسن المداراة ، وقلة المماراة »[3]. (الإمام علي) .

« كثرة الصواب تنبىء عن وفور العقل »[4]. (الإمام علي) .

« اذا كمل العقل نقصت الشهوة »[5]. (الإمام علي) .

« من قوي عقله اكثر الاعتبار »[6]. (الإمام علي) .

« ذهاب العقل بين الهوى والشهوة »[7]. (الإمام علي) .

« عجب المرء بنفسه احد حسّاد عقله »[8]. (الإمام علي) .

« اذا قلّت العقول كثر الفضول »[9]. (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٢٨ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٢٩ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٢٩ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٣٠ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٣٠ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٣١ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٣١ .
(٨) بحار الأنوار ـ ج٧٢ ـ ص٣١٧ .
(٩) الغرر والدرر .

« حدّ العقل الانفصال عن الفاني ، والاتصال بالباقي »[1] . (الإمام علي) .

« حدّ العقل النظر في العواقب ، والرضا بما يجري به القضاء »[2] . (الإمام علي) .

« رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس ، واصطناع الخير الى كل برّ وفاجر »[3] . (الرسول الاعظم) .

« افضل العقل معرفة الحق بنفسه »[4] . (الإمام علي) .

« ثمرة العقل لزوم الحق »[5] . (الإمام علي) .

« عدو العقل الهوى »[6] . (الإمام علي) .

« العقل مسكنه القلب »[7] . (الإمام الباقر) .

« موضع العقل الدّماغ ، الا ترى الرجل اذا كان قليل العقل قيل له : ما أخفّ دماغك . . . »[8] . (الإمام الصادق) .

« من استغنى بعقله زل »[9] . (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٣٣ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٣٤ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٣٤ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٣٦ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٣٨ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٣٨ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٤٣٨ .

« ان الغلام انما يثغر في سبع سنين ، ويحتلم في اربعة عشر سنة ، ويستكمل طوله في اربع وعشرين ، ويستكمل عقله في ثمان وعشرين سنة ، وما كان بعد ذلك فانما هو بالتجارب »[1] . (الإمام علي) .

(١) المصدر السابق ـ ص٤٣٧ .

« الحكمة » في القرآن الحكيم

قال تعالى :

﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾[1] .

﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم﴾[2] .

﴿كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[3] .

﴿لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٨ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٩ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٥١ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٤ .

القرآن الكريم ، هو الذكر الحكيم ، وهو مصدر الشريعة الإسلامية الأول ، وهو كتاب الحكمة ، يعلم الانسان كيف يكون حكيما في حياته ، ومرضيا عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الدنيا والآخرة . ومن دلائل حكمة القرآن ، ان المرء العاقل حينما يقرأ آية منه ، ويتأمل ، ويتدبرّ فيها ، يشعر ان الحكمة تتدفق منها .

ولقد وردت « الحكمة » ، في القرآن الكريم ـ معرفة ونكرة ـ عشرون مرة ، ووردت كلمة « الحكيم » ـ معرفة ونكرة ـ ثمان وتسعين مرة . إذ أن من صفات الله ، الحكمة ، فهو الباري ، والمبدع لكل الموجودات ، من انسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد وغير ذلك . واذا علمنا ان الله حكيم ، فمن واجبنا نحن البشر ، أن نتخلق بأخلاقه ، ونكون حكماء في حياتنا ، لكي نسعد فيها ، ونكون مرضيين في الآخرة .

العلاقة بين القرآن ، والحكمة :ـ

عن ابن عباس مرفوعا في قوله تعالى : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء . . .**﴾ ، قال : الحكمة : القرآن[1] .

من الأمور الجديرة بالملاحظة ، والذكر ، فيما يرتبط بالقرآن ، والحكمة ، أن الحكمة وردت في القرآن الحكيم ـ في اغلب المواقع ـ بعد الكتاب الذي هو القرآن نفسه بالنسبة للنبي (ص) ، وبعد الكتب السماوية الاخرى بالنسبة لبقية الأنبياء ، والرسل ، الأمر الذي يؤكد الارتباط الوثيق بين الكتب السماوية ـ والقرآن خاتمتها ـ وبين الحكمة . والحكمة في القرآن ، هي المعارف الالهية من العقائد الحقة ، والاخلاق الفاضلة ، وهي المعارف الحقة التي تنفع الانسان وتكمله ، والمتعلقة بالاعتقاد والعمل ، وهي وسط الاعتدال

---

(١) بحار الأنوار ـ ج١ ـ ص٢٢٠ .

بين الجهل والجربزة ، وهي العقل والعلم والوعي والفهم ، والاحكام الفرعية والمصالح المشتملة عليها . ومنه نستنتج .

نعود فنتساءل :

ما هي العلاقة بين القرآن ، والحكمة ؟

ولماذا جاءت الحكمة ، بعد القرآن ، في اكثر المواقع من الآيات القرآنية التي تتناول الحكمة ؟

للاجابة على ذلك :

ان القرآن كتاب انسانية ، وهداية ـ كما الكتب السماوية في عهدها ـ وهو يعلم الانسان ، كيف يكون انساناً متكاملاً ، ومن أحد أوصاف القرآن أنه الذكر الحكيم ، وهو مرسل من الله الحكيم ، والله لا تصدر منه الا الحكمة ، فتكون علاقة الحكمة بالقرآن ، هي علاقة التابع بالمتبوع ، والثمرة بالأصل .

يقول تعالى : ﴿**ان هو الاّ وحي يوحى ، علمه شديد القوى**﴾[1] .

وعلى ذلك ، فأن التأمل في القرآن الحكيم ، والتدبر في آياته ، وتطبيق تعاليمه ، من أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل، وقصص ، وأمثلة ـ والتي تسمى بالحروف السبعة ـ يؤدي بالانسان لأن يكون حكيما في حياته ، عارفا بحقيقتها ، مستقيماً ، وسوياً وعادلاً فيها . ومما لا شك فيه ان المنهج الحكيم ، يعلم الانسان كيف يكون حكيماً ، والقرآن منهج حكيم للانسانية بالطبع ، لذلك كانت الحكمة أثراً من آثاره على النبي ، وصفة من صفاته (ص) ، ومعارف ، كلّف بايصالها الى الناس ، وبأسلوب حكيم أيضا ، وهو ما يعبر عنه في العصر الحاضر بالأسلوب العلمي المنظم .

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٤ ـ ٥ .

يقول ـ تعالى : ـ

﴿أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها . . .﴾[1] .

وحينما تبتعد النفس الانسانية عن منهاج القرآن الحكيم ، وعن التدبر ، والتأمل ، والتفكر في اياته ، تصاب بحجب نفسية ، تشكل اقفالاً قاسية ، مانعة لها من الهداية أو الصلاح ، أو ان الحجب النفسية التي ترين على قلب الانسان ، واتباعه لاهوائه ، تشكل موانع قوية ، ضد التدبر ، والتأمل في آيات القرآن الحكيم ، والالتزام بتكاليفها الشرعية ، وتوجيهاتها الأخلاقية . ومن هنا كان التدبّر ، والتأمل في آيات القرآن الحكيم ، والتطبيق العملي لما تتضمنها من فرائض وأخلاقيات ومسؤوليات ، وسيلة للانسان لأن يمتلك الحكمة في حياته ، سواء الحكمة بمعنى الأسلوب العقلائي ، أو المعارف الحقيقية ، علماً بأن الحكمة ـ في حدّ ذاتها ـ وسيلة لمرضاة الله ، وهدف يرجى الوصول إليه ، وهي ليست هدفاً نهائياً ، إذ الهدف النهائي هو مرضاة الرب ، والتوفيق في الآخرة ، التي هي خير وأبقى ، وهي الدار الحيوان لو كانوا يعلمون .

ومما يلاحظ في الآيات القرآنية التي تتناول الحكمة ، ان الحكمة تأتي احيانا قبل التزكية ، كما في الآية القرآنية التالية :

﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم﴾[2] .

وهنا سؤال :

ما الحكمة في ذلك ؟

أليست التزكية أمر تأسيسي ، يجب ان يأتي متقدماً عن الحكمة ، أم لا

---

(١) سورة محمد ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٩ .

يوجد هدف ، من التقديم ، والتأخير في جزئيات آيات القرآن الحكيم ؟

قبل الاجابة يجدر بنا أن نعرف التزكية . فهي تفعيل من الزكاة ، وهي النمو الصالح الذي يلازم الخير والبركة . وتزكية الرسول لمن أرسل لهم تعني : تنميته لهم نماءً صالحاً ، بتعويدهم الأخلاق الفاضلة ، والأعمال الصالحة ، فيكملون بذلك في انسانيتهم ، فيستقيم حالهم في دنياهم ، وآخرتهم ، ويعيشون سعداء ، ويموتون سعداء . والتزكية تعني : التطهير من الأدران ، والشوائب ، والرواسب ، والسلبيات السابقة ، وهدمها . وقد يفهم من تقديم الحكمة على التزكية في هذه الآية ، وفي الآيات الاخرى التي تتقدم فيها الحكمة على التزكية ، قد يفهم منها ان الحكمة باعتبارها العقل ، واستخدامه على الوجه الأصلح ، هي التي تمكن الانسان وتجعله يزكي نفسه ، ويطهرها . وبعبارة اخرى ان التزكية ثمرة من ثمرات العقل والعقل هو الحكمة .

ولا شك أن القرآن الحكيم حينما يقدم شيئا على شيء ، أو يؤخر شيئا بعد شيء ، ليس ذلك اعتباطاً ، وانما لهدف مقصود ، فقد يكون المؤخر سبباً للمقدم ، أو أن المؤخر استدراك ، أو تشابه ، أو تعليل ، أو تكميل ، أو تفريع ، أو . . . ، للمقدم .

والتزكية وردت في آيات أخرى ، بعد تلاوة النبي للآيات على الناس ، باعتبارها ضرورة أولية في التربية ، ولكنها جاءت في هذه الآية متأخرة ، باعتبار ان الحكمة التي هي المعارف الحقيقية في القرآن ، تؤدي الى تطهير الانسان ، وتزكيته ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى ان الانسان لا غنى له عن تطهير نفسه ، وتزكيتها ، ومحاسبتها ، وهدم الرواسب ، والشوائب التي تعلق بها ، وملازمة هذا الأمر ، في كل مرحلة من مراحل حياته .

فعلى سبيل المثال : ذلك المبتدىء في العلم عليه ان يزكي نفسه ، ويطهرها قبل التعلم ، وأيضاً وذلك العالم الذي وصل الى درجة كبيرة في

التقوى ، والورع أيضاً ، ليس غنياً عن تطهير نفسه ، وتزكيتها ، فيما اذا اعترضه الشيطان ، او ارتكب شيئا مما لا يحل ولا يجمل .

وبالطبع ، ان الانسان كلما ازداد تقوى وورعاً ونماءاً ـ في هذه الحياة ـ كلما كان انحرافه أخطر ، ولذلك فهو بحاجة الى مراقبة ذاته ، ومحاسبتها ، وتطهيرها ، وتزكيتها . وحينما ينحرف ذلك الانسان المتقي الورع ، هنا تقع الكارثة ، ولا يحصل ذلك الاّ في غياب المراقبة ، والمحاسبة الذاتية ، التي هي صورة من صور التزكية ، وتطهير النفس .

يقول الرسول الأعظم (ص) : ـ

« ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل خيراً استزاد الله منه ، وان عمل شراً استغفر الله وتاب اليه »[1] .

ويقول (ص) أيضاً : ـ

« حاسبوا انفسكم ، قبل ان تحاسبوا »[2] .

* * *

يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رح) في تفسير الميزان :

« . . . وقد قدم الله التزكية في الآية الكريمة : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل ذلك لفي ضلال مبين**﴾[3] ، قدمها على تعليم الكتاب ، اي بيان ألفاظ آياته ، وتفسير ما أشكل من ذلك ، ويقابله تعليم الحكمة[3] ، وهي

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٠٧ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٠٦ .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن ، بخلاف ما في الآية التي تتحدث عن دعوة ابراهيم (ع)، ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم**﴾[1] . فالآية الأولى تصف تربية النبي محمد (ص) لمؤمني امته ، والتزكية مقدمة في مقام التربية ، على تعليم العلوم الحقة ، والمعارف الحقيقية . وأما الآية الثانية ، فانها دعاء ، وسؤال ، يتحقق في ذريته هذه الزكاة ، والعلم بالكتاب ، والحكمة ، والاتصاف من الزكاة الراجحة الى الأعمال ، والأخلاق »[2] .

وفي مواقع أخرى من آيات القرآن الحكيم ، تجد الحكمة تأتي قبل تعليم النبي ما لم يكن يعلم ، او قبل تعليم النبي (ص) للناس ما لم يكونوا يعلمون ، كما في الآية الكريمة : ﴿**وانزل الله عليك الكتاب ، والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم**﴾ ، وكما في الآية رقم (١٢٩) من سورة البقرة ، المتقدمة الذكر .

ويفهم من ذلك أن الحكمة تفتح للانسان آفاقا جديدة واسعة ـ اذا عمل بما يعلم ـ ، منها أنه يكون عالماً ، عارفاً ، بأمور كان يجهلها ، وعلى رأس تلك الأمور المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن الحكيم . وهذه من ثمرات الحكمة ، ونتائجها ، وآثارها ، لأن في الحكمة الخير الكثير ، كما بيّنا سابقاً .

كذلك يجد المتأمل ، أن الحكمة تأتي في موقع من القرآن الكريم ، بعد « ايتاء الملك » ، والذي يعبر عنه بالمصطلح الحديث بـ « السلطة » كما في الآية الكريمة التي تتحدث عن نبي الله داود ـ عليه السلام : ـ

﴿**فهزموهم باذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لفسدت**

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٩ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ـ المجلد ٢٨ .

الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[1] .

اذ ما قيمة القائد ، أو الحاكم ، او الرئيس اذا لم يكن عارفاً ، سياسياً حكيماً ، أو اذا كان كان أمياً جاهلاً ؟ !

وهل بامكانه ـ وهو على هذه الحالة ـ أن يقود الأمة ، والدولة ، بشكل جيد ؟ !

وبالطبع فان الرئيس الذي لا يمتلك المعرفة بأمور العصر وأحداثه ، والحكمة في التصرف والسلوك والادارة ، لا يمكن له أن يقود الناس فضلا على عدم قدرته على قيادته لهم بحكمة . واذا قادهم ، فان قيادته تكون هوجاء متخبطة ، تارة الى ذات اليمين ، وأخرى الى ذات الشمال ، ليس لها برنامج مخطط ، ولا استراتيجية واضحة ، ولا منهج ثابت ، اذ أين المنهج في ظل غياب الحكمة ؟ !

وهذه المشكلة يعاني منها العالم ، وهي متمثلة في الأنظمة اللاشرعية الحاكمة . والغريب ان هناك مجموعة لابأس بها من الحكام ، تدعي الإسلام ، ولكنها لم تستضىء بحكمة الإسلام في شيء ، والانكى من ذلك أنها توجه حرابها لجسم الإسلام ، باسم الإسلام نفسه . وهذا ما يفسر فشل تلك الانظمة في خلق حالة من الوحدة ، وحل القضايا التي تبتلي بها الأمة كالقضية الفلسطينية مثلاً .

والحكمة لا تقتصر على الرئيس ، والمسؤوليات الكبرى ، وانما تنسحب على اي مسؤولية ادارية ، مهما صغرت ، اذ لابد للاداري القائم عليها ان يكون على درجة من الحكمة في تصريف الامور وادارتها ، لكي تحقق الهدف منها على أكمل وجه .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥١ .

دعنا نضرب لذلك مثالاً بسيطاً بالأسرة . فالزوج ، والزوجة اذا كانا حكيمين في ادارة الاسرة ، فانها تنتظم أمورها في كافة المجالات . واذا لم يكونا حكيمين في ادارة وتصريف امورها ، فإنها قد تصاب مثلاً : بسوء التربية والأخلاق في الأبناء ، أو تصاب بمرض الاسراف الذي قد يؤدي بها الى الافلاس والفقر ، او قد تصاب بسوء التغذية ، نتيجة غياب الحكمة في تحقيق تغذية سليمة ، الأمر الذي قد يؤدي الى الاصابة بأمراض أخرى ، وما الى ذلك من المشكلات ، والآثار ، والنتائج التربوية ، والاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية ، والتي تترتب على عدم ادارة العائلة بشكل حكيم .

وبديهة كلما ازدادت أهمية الأعمال وخطورتها ، ازداد احتياجها الى الادارة الاكثر حكمة . فعلى سبيل المثال : ان قرارا غير حكيم ، يتخذه قائد عسكري لجيش ، في موقف حرج ، وخطير ، قد يؤدي بهذا الجيش الى الهزيمة ، والاندحار ، وهذه من البديهيات في العلم العسكري .

الحكمة ضرورة في تبليغ الرسالة .

قال تعالى :

﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين﴾[1] .

الدعوة الى الرسالة الاسلامية ، وتبليغها ، ليست مسألة سهلة ، كما أنها ليست مستحيلة ، وانما هي أمانة ممكنة ، تستلزم من الانسان أن يتحمل مسؤوليتها ، وبذل الجهد ، والتضحية من أجلها . كما أن ايصال الرسالة الى الناس ، لا يتم بشكل غوغائي أهوج ، وانما هو بحاجة الى وسيلة عقلائية ،

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

واسلوب فني منظم ، وعلى جميع الاصعدة ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه الحكمة ، أو يمكننا القول أنه منها .

ومن خلال التأمل في آيات القرآن الحكيم التي تتناول الانبياء والرسل ، وقصصهم ، يجد المتأمل أن من أولويات النبوة ، والرسولية ، الحكمة . فما من نبي أو رسول الّا وكان حكيماً ، يتصف بالحكمة . وهذا أمر مفروغ منه ، اذ أن الحكمة مقوم اساسي من مقومات شخصيات الأنبياء ، لكي يكونوا قادرين على افهام ، وتعليم ، واقناع ، وتبليغ ، وهداية الأمم ، والاقوام التي أرسلوا لها ، لأن واجد الشيء يعطيه ، وفاقده ، لا يعطيه بالطبع . فمن يمتلك الحكمة يمكنه ان يبلغ الرسالة ، ومن لا يمتلكها لا يمكن له أن يبلغها .

وما من نبي ، أو رسول الّا وكان أخلاقياً ، حكيماً ، عالماً ، عارفاً بالله ، وبأمور عصره ، وأحداثه ، وبالوسائل ، والاساليب المنظمة للدعوة الى الله . ومن هنا نجد ان الفقهاء يشترطون شرط المعرفة بالعصر ، والأحداث في الفقيه المرجع . وهي مسألة هامة جدا ، وتبلغ ذروة الأهمية اذا كان الفقيه متصدّ لقيادة الأمة ، والدولة ، سياسياً وهذا يقودنا الى القول : ان الحكمة من لوازم شخصية الفقيه المرجع القائد المتصدي ، لكي يكون قائداً بالفعل ، ولكي تأتي توجيهاته ، وقراراته حكيمة ، موافقة للشرع ، مرضية للرب ، ممكنة للدولة الاسلامية ، عارجة بها نحو الاستقلال ، والتقدم ، والازدهار ، حافظة لها من كيد الاعداء ، والمستكبرين ، ومن سياساتهم العدوانية الماكرة .

والحكمة كهدف ـ ان صحّ التعبير ـ هي المعارف الحقيقية من العقائد الحقة ، والأخلاق الفاضلة التي يتضمنها القرآن ـ ومنها على سبيل المثال : الايمان بالحياة الآخرة ـ وايصالها للناس ، ونسف المعارف المزيفة ، والخرافية في من يحملونها ، وايصال المواعظ للناس . والحكمة كوسيلة ، هي اصالة

الحق بالعلم والعقل ، وهي الأسلوب الفني المنظم ، او الوسيلة الحكيمة ، لتبليغ الرسالة ، وللمسلوك ، والتصرف في الحياة بشكل عام .

* * *

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية الكريمة الآنفة الذكر :

« لا شك في أنه يستفاد من الآية ان هذه الثلاثة : الحكمة والموعظة والمجادلة من طرق التكليم والمفاوضة ، فقد أُمر النبي بالدعوة بأحد هذه الامور فهي من أنحاء الدعوة وطرقها وإن كان الجدال لا يعد دعوة بمعناها الأخص .

وقد فسرت الحكمة ـ كما في المفردات ـ بإصالة الحق بالعلم والعقل ، والموعظة ـ كما عن الخليل ـ بأنه التذكير بالخير فيما يرق له القلب ، والجدال ـ كما في المفردات ـ بالمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة .

والتأمل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحكمة ـ والله أعلم ـ الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام ، والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب ، لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك .

والجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصرّ عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته .

فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة والموعظة والجدال بالترتيب على ما اصطلحوا عليه في فن الميزان بالبرهان والخطابة والجدل .

غير أنه سبحانه قيّد الموعظة بالحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة ، ومن الجدال ما هو أحسن وما ليس

بأحسن ولا حسن ، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه .

ولعل ما في ذيل الآية من التعليل بقوله : ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ يوضح وجه التقييد ، فمعناه أنه سبحانه أعلم بحال أهل الضلال في دينه الحق ، وهو أعلم بحال المهتدين فيه ، فهو يعلم أن الذي ينفع في هذا السبيل هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الأحسن لا غير .

والاعتبار الصحيح يؤيد ذلك فإن سبيله تعالى هو الاعتقاد الحق والعمل الحق ، ومن المعلوم أن الدعوة اليه بالموعظة مثلاً ممن لا يتعّظ بما يعظ به ، دعوة عملاً إلى خلاف ما يدعو اليه القول ، والدعوة اليه بالمجادلة مثلاً بالمسلّمات الكاذبة التي يتسلمها الخصم لإظهار الحق إحياء لحق بإحياء باطل وإن شئت فقل : إحياء حق بإماتة حق إلا أن يكون الجدال على سبيل المناقضة .

ومن هنا يظهر أن حسن الموعظة إنما هو من حيث حسن أثره في الحق الذي يراد به بأن يكون الواعظ نفسه متعّظاً بما يعظ ويستعمل فيها من الخلق الحسن ما يزيد في وقوعها من قلب السامع موقع القبول فيرقّ له القلب ويقشعرّ به الجلد ويعيه السمع ويخشع له البصر .

ويتحرز المجادل مما يزيد في تهييج الخصم على الرد والعناد وسوقه إلى المكابرة واللجاج ، واستعمال المقدمات الكاذبة وإن تسلّمها الخصم إلا في المناقضة ويحترز سوء التعبير والازراء بالخصم وبما يقدّسه من الاعتقاد والسبّ والشتم وأي جهالة اخرى فإن في ذلك إحياء للحق بإحياء الباطل أي إماتة الحق كما عرفت .

والجدال أحوج إلى كمال الحسن من الموعظة ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها ولم يجز من المجادلة إلا التي هي أحسن :

ثم إن في قوله : ﴿**بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ أخذاً بالترتيب من حيث الأفراد ، فالحكمة مأذون فيها بجميع أفرادها ، والموعظة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة والمأذون فيها منهما هي الموعظة الحسنة ، والمجادلة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة ثم الحسنة الى التي هي أحسن وغيرها ، والمأذون فيها منها التي هي أحسن ، والآية ساكتة عن **توزيع** هذه الطرق بحسب المدعوّين بالدعوة فالملاك في استعمالها من حيث المورد حسن الأثر وحصول المطلوب وهو ظهور الحق .

فمن الجائز أن يستعمل في مورد جميع الطرق الثلاث وفي آخر طريقان أو طريق واحد حسب ما تستدعيه الحال ويناسب المقام .

ومنه يظهر أن قول بعضهم إن ظاهر الآية أن يجمع (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوته بين الطرق الثلاث ليس في محله إذ لا دليل على لزوم الجمع بينها بالنسبة إلى كل مدعو وأما بالنسبة إلى جميع المدعوّين فهو حاصل .

وكذا ما ذكره بعضهم أن الطرق الثلاث المذكورة في الآية مترتبة حسب ترتب أفهام الناس في استعدادها لقبول الحق فمن الناس الخواص وهم أصحاب النفوس المشرقة القوية الاستعداد لإدراك الحقائق العقلية وشديدة الانجذاب إلى المبادىء العالية وكثيرة الالفة بالعلم واليقين فهؤلاء يدعون بالحكمة وهي البرهان .

ومنهم عوام وهم أصحاب نفوس كدرة واستعداد ضعيف مع شدة أُلفتهم بالمحسوسات وقوة تعلّقهم بالرسوم والعادات قاصرة على تلقيّ البراهين من غير أن يكونوا معاندين للحق وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة .

ومنهم أصحاب العناد واللجاج الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق ويكابرون ليطفئوا نور الله بأفواههم رسخت في نفوسهم الآراء الباطلة ، وغلب عليهم تقليد أسلافهم في مذاهبهم الخرافية لا ينفعهم المواعظ والعبر ، ولا يهديهم سائق البراهين وهؤلاء هم الذين أُمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن .

وفيه أنه لا يخلو من دقة لكن لا ينتج اختصاص كل طريق بما يناسبه من مرتبة الفهم فربما انتفع الخواص بالموعظة والمجادلة ، وربما انتفعت العوام وهم ألفاء العادات والرسوم بالمجادلة بالتي هي أحسن ، ولا دلالة في لفظ الآية على ما ذكر من التخصيص »[1] .

والآن لكي نكتسب الحكمة من القرآن ، ونجعل تصرفاتنا حكيمة ، يلزمنا اتباع القواعد الآتية :

١ ـ اتخاذ القرآن الحكيم صديقاً حميماً لنا ، وقراءته قراءة خشوع ، وتطبيق ، وكأنه يتنزل علينا .

٢ ـ تعلّم آياته ، وتطبيق ما تأمرنا به ، وتنهانا عنه بكل جدية ، واخلاص ، ونية صادقة .

٣ ـ نهل الحكمة منه لأنه منبع الحكمة ومحيطها ، ففي كل آية منه ألف حكمة وحكمة .

٤ ـ جعل علاقتنا بخالقنا سليمة ، على ضوء القرآن وحكمته .

٥ ـ تزكية انفسنا ، ونطهرها ، ونربيها ، وننمّيها على ضوء حكمته وهداه .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ـ ج١٢ ـ ص٣٧١ ـ ٣٧٣ .

٦ ـ التعامل مع الآخرين اجتماعياً ـ وعلى جميع الاصعدة ـ على ضوء ذلك ايضاً .

٧ ـ جعل القرآن مرجعنا الذي نعرض عليه انفسنا ، وتصرفاتنا الفردية ، والاجتماعية لنرى اين نحن منه ، فنتبعه .

٨ ـ التدبر في آياته ، فالتدبر فيها يزيل الرواسب والحجب النفسية ، ويكسب الحكمة .

٩ ـ الاتعاظ والاعتبار به ، والتخلق باخلاقه ، والتأدب بآدابه .

١٠ ـ استثمار آفاق العلم ، والمعرفة التي يفتحها لنا ، والنهل منها .

١١ ـ ان تكون الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وسيلتنا العلمية والتنظيمية في الدعوة الى الله ، وتبليغ رسالته ، وفي سلوكنا وتصرفنا الفردي والاجتماعي .

آيات قرآنية ، في الحكمة :

قال تعالى في القرآن الحكيم :

﴿واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فأمسكوهن بمعروف، أوسرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزواً ، واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب ، والحكمة ، يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾[1] .

﴿ويعلمه الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٤٨ .

﴿واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب ، وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ، ولتنصرنه ، قال أقررتم ، وأخذتم على ذلك امري ، قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا ، وانا معكم من الشاهدين﴾[1] .

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب ، والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما﴾[2] .

﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وانزل الله عليك الكتاب ، والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما﴾[3].

﴿اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك ، وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد ، وكهلا ، واذ علمتك الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل اذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ، فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني ، وتبرىء الاكمه ، والأبرص بإذني ، واذ تخرج الموتى بإذني ، واذ كففت بني اسرائيل عنك ، اذا جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم : ان هذا الا سحر مبين﴾[4] .

﴿ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾[5] .

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة ، ان اشكر الله ، ومن يشكر فانما يشكر

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٣ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ١١٠ .
(٥) سورة الاسراء ، الآية : ٣٩ .

لنفسه ، ومن يكفر فان الله غني حميد﴾[1] .

﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله ، والحكمة ، ان الله كان لطيفاً خبيراً﴾[2] .

﴿وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة ، وفصل الخطاب﴾[3] .

﴿ولما جاء عيسى بالبينات ، قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله واطيعون﴾[4] .

﴿حكمة بالغة فما تغني النذر﴾[5] .

﴿وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الاّ ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم﴾[6] .

﴿هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الاّ هو العزيز الحكيم﴾[7] .

﴿وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير﴾[8] .

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٢ .
(٢) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٤ .
(٣) سورة ص ، الآية : ٢٠ .
(٤) سورة الزخرف ، الآية : ٦٣ .
(٥) سورة القمر ، الآية : ٥ .
(٦) سورة البقرة ، الآية : ٣٢ ـ ٣٣ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٦ .
(٨) سورة الانعام ، الآية : ١٨ .

﴿ هو الذي خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾[1] .

﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم﴾[2] .

﴿الر . تلك آيات الكتاب الحكيم﴾[3] .

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم﴾[4] .

﴿وانك لتلّقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[5] .

﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾[6] .

﴿انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ [7] .

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً . وان يتفرقا يغن الله كلاًّ من سعته ، وكان الله واسعاً حكيماً﴾ [8] .

---

(١) سورة الانعام ، الآية : ٧٢ .
(٢) سورة الانعام ، الآية : ٨٣ .
(٣) سورة يونس ، الآية : ١ .
(٤) سورة النور ، الآية : ١٠ .
(٥) سورة النمل ، الآية : ٦ .
(٦) سورة لقمان ، الآية : ٢ .
(٧) سورة الزخرف ، الآية : ٣ ـ ٤ .
(٨) سورة النساء ، الآية : ١٢٩ ـ ١٣٠ .

﴿ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين﴾[1] .

(١) سورة هود ، الآية : ٤٥ .

الحكمة في السنة الشريفة

تقدم فيماسبق أن القرآن كتاب الحكمة ، وأن من يؤمن بالمعارف الحقيقية التي يتضمنها ، ويلتزم بتعاليمه ، وأخلاقياته ، يصبح انساناً حكيماً .

وسنة الرسول الأعظم (ص) ، التي هي اقواله ، وأفعاله ، وتقريراته ، وروايات أئمة أهل البيت (ع) ، هي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية ، وهي المفصل ، والشارح لما أجمل في القرآن . وهي صادرة عن الرسول الحكيم الذي هو مرتبط بالله الحكيم ، عن طريق الوحي ، وصادرة ايضا عن الأئمة (ع) الذين هم الامتداد الطبيعي للوحي ، والرسول (ص) ، فهي حكيمة أيضا ، وبالتالي فان التزام الانسان بالاحاديث ، والروايات الشريفة ، في الواقع ، تجعل منه انساناً ، حكيماً مستقيماً في هذه الحياة ، وعليه يكون من المهم للانسان ، ان يتأمل ، ويتدبر في الاحاديث ، والروايات الشريفة ، لكي يطبقها ، ويستلهم منها منهاجا ، ودروساً ، وعبراً في حياته .

الحكمة ، والمعرفة ، والتفقه في الدين .

عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبدالله (ع) عن قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ :

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ .

فقال: « ان الحكمة ، المعرفة ، والتفقه في الدين ، فمن فقه منكم فهو حكيم »[1] .

ويقول الرسول الاعظم (ص) :

« لكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه »[2] .

ويقول (ص) :

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[3] .

في غياب المعرفة ، يبقى الانسان يعيش في ظلمات دامسة ، لا يدري الى اين يتجه ، وكيف يسير . فالمعرفة هي بمثابة النبراس الذي يستطيع به الانسان اهتداء الطريق . ان الامّية تضرب على الانسان ستارا من الجهل ، والتخلف ، وتجعله لا يدرك حتى أبسط الأمور ، ولا يعرف كيف يتصف في مختلف مجالات الحياة ، وبالتالي يقع في الكثير من الأخطاء ، والزلات .

ومن هنا نجد في الإسلام ، أن « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ومسلمة » ، ونجد الامر بطلب العلم ، مهما كان مكانه نائياً ، « اطلبوا العلم ، ولو في الصين » ، ونجد الحث على الاستمرارية ، والديمومة في طلب العلم ، « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » .

وعلى رأس المعارف التي تعطي للانسان الحكمة في الحياة ، التفقه في الدين . ذلك لان التفقه في الدين ، يعطي الانسان صورة متكاملة عن أحكام

---

(١) بحار الانوار - ج١ - ص٢١٥ .

(٢) المصدر السابق - ج١ - ص٢١٦ .

(٣) المصدر السابق - ج١ - ص٢١٦ .

الله ، وأوامره ، ونواهيه ، وحدوده ، وعن المعاملات مع الناس ، من عقود ، وايقاعات ، ومواريث ، وما شابه ذلك . ويفتح آفاق المعارف الأخرى بالنسبة له .

ومن الطبيعي أن من يتفقه في الدين تتكشف له الكثير من الحقائق ، والمجهولات . واذا بني التفقه على أساس التقوى ، والخشية من الله ، والعزم ، والتصميم على تطبيق أحكام الله ، ويصبح الانسان حكيماً ، من الناحية النظرية ، والعملية . ولضرورة التفقه ، أوجب الفقهاء على الانسان المكلف ، ان يتعلم المسائل الشرعية التي يبتلى بها في حياته ، ليس في مجال الطهارة ، والصلاة ، والصوم ، فحسب ، وانما في كافة أقسام الفقه ، وفروعه . فعلى سبيل المثال ، التجارة ، فالتاجر عليه أن يتعلم المسائل التي تتعلق بالتجارة ـ فضلا عن المسائل الضرورية الأخرى ـ والاّ وقع في دائرة الربا ، والربح غير مشروع ، وغير ذلك .

الحكمة وطاعة الله ، ومعرفة الإمام .

قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا ، اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول ، واولى الأمر منكم﴾[1] .

سئل الإمام الباقر (ع) عن تفسير الآية الكريمة : **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الاّ أولوا الألباب﴾** . فقال الإمام (ع) : « هي طاعة الله ، ومعرفة الإمام »[2] .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٤ .

وكثيرة هي الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة التي تأمر الانسان باطاعة الله ، والرسول ، وأولى الأمر الذين هم أئمة أهل البيت (ع) الاثني عشر ، أولهم علي بن ابي طالب (ع) ، وآخرهم محمد بن الحسن ، المهدي ، المنتظر (عج) ، الذي غاب الغيبة الصغرى ، ومدتها سبعون عاما ـ ، وكان له فيها نواب خاصون ، وهذه تسمى « النيابة الخاصة » ، ثم غاب الغيبة الكبرى التي لا زالت متواصلة ـ الى أن يأذن الله له بالخروج ـ ولم يحدد له فيها نوابا خاصين ، بل ترك مسألة النيابة للفقهاء العدول ، الجامعين . للشرائط ، وهذه تسمى « النيابة العامة » ، وأمر الناس بتقليدهم .

يقول الإمام الحجة (عج) في شأن النيابة العامة :

« من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام ان يقلدوه »[1] .

وبما ان الإسلام قد اوضح لنا نظريته في الإمامة ، والقيادة ، وركز في كثير من آياته على الطاعة ، وأهميتها وضروريتها ، فعلى ذلك تكون الطاعة مبدأ أساسياً للسير وراء القيادة الشرعية ، اذ لا تستطيع هذه القيادة أن تفعل شيئا بدون اطاعة القاعدة لها . وكما يقول الإمام علي (ع) : « لا رأي لمن لا يطاع »[2] . ومن هنا فالطاعة قيمة ضرورية ، تعرج بالانسان الى مدارج التكامل والكمال .

وطاعة الله ، هي التزام منهجه ، وطريقه ـ دون الحيدان عنه ـ كما التزم به الرسول (ص) ، والأئمة (ع) ، وطاعة الله تعني ايضا اطاعة من أطاعه ، وعصيان من عصاه .

---

(١) تحرير الوسيلة ـ ج١ ـ ص٥ .

(٢) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٢٢١ .

ومن هنا فلكي تكون حكيماً في حياتك ، لابد أن تعرف امامك ، وقيادتك ، ذلك لأن القيادة حاجة ضرورية ، وسنة كونية ، والدليل على ذلك ان لهذا الكون قائد ، ومدبر ، وهو الله ، وما من مشروع في الحياة ، كبر ذلك المشروع ، أم صغر ، الا ويحتاج الى مدبر ، وموجه وقائد . والإمام هو القيادة الموجهة للانسان في طريق الله . ومن تكاملية الدين الإسلامي ، الذي هو دين الحكمة ، انه لم يترك الانسان بلا امامة ، وقيادة ، بل أرسل له الانبياء والرسل ، لكي يهدوه الى الحق ، وكان خاتمهم محمد (ص) ، ثم الأئمة الاثنا عشر (ع) من من بعده . ثم بعد ذلك النواب الخاصين[1] ، وبعدهم النواب العامين ، وهم الفقهاء الجامعون للشرائط. واذا ادركنا الدور الخطير للقيادة الاسلامية ، يتبين لنا ان معرفة الإمام مقوم من مقومات الحكمة ، اذ ان الانسان بلا امام ، وبلا قيادة ، كسفينة بلا ربان ، لا تدري الى اين تتجه ، ولا كيف تسير . ومن هنا جاء في الحديث الشريف :

« من مات ، وليس في رقبته بيعة لإمام ، مات ميتة جاهلية »[2] .

الحكمة ، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار .

سئل الإمام الباقر (ع) عن قول الله ـ تعالى ـ : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة**. .﴾ فقال : « معرفة الإمام ، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار »[3] .

كيف تكون الحكمة هي اجتناب الكبائر ؟

---

(١) نواب الإمام المهدي الخاصين هم : ١ ـ عثمان العمري . ٢ ـ محمد العمري ، ٣ ـ الحسين بن روح . ٤ ـ علي السمري . للاطلاع على التفاصيل كتاب « كلمة الإمام المهدي » .

(٢) بحار الأنوار ـ ج٢٣ ـ ص٩٤ وفيه « عنقه » بدل « رقبته » .

(٣) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٤ .

وقبل الاجابة على هذا السؤال ينبغي لنا أن نتساءل :

ما هي الكبائر ؟

الكبائر هي الذنوب ، والمعاصي الكبيرة ، وذلك مثل : الزنا ، واللواط ، والاستمناء . وشرب الخمر ، ولعب الميسر ، واكل الميتة ، واكل لحم الحيوان المحرم . والغيبة والاستماع اليها ، والنميمة ، والكذب ، والكذب على الله والرسول أو الإمام ، والظلم ، والغصب بالباطل والخيانة ، واشاعة الفاحشة ، والاحتكار ، والاعتراض على الله سبحانه وفي القضاء والقدر ، والبدعة في الدين ، والتكبر على عبادة الله سبحانه ، وترك الصلاة الواجبة ، وترك اي واجب من الواجبات الأخرى ، والتكذيب بشيء من القرآن والاحكام الشرعية ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، والتجسس على العيوب ، والحكم بما لم ينزل الله ، وخطبة المرأة ذات البعل او في العدة ، والخروج على الإمام عليه السلام ، وعقوق الوالدين ، والسرقة ، وتزويج الباطل ، واماته الحق ، والعداء مع المؤمن ، والسب مطلقاً وخصوصاً بالنسبة لله ـ عز شأنه ـ والنبي (ص) والإمام (ع) والدين والكتاب والمذهب وسائر المقدسات ، واخذ الربا واعطائه ، وقطع والطريق ، والرمي بالزنا ، والسعي في خراب المساجد ، والسحر ، وسفور النساء وخروجهن مكشفات ، والشرك بالله ، والغش ، واليمين الفاجرة ، والفساد في الأرض ، والقيادة (قيادة الناس للبغاء والفجور) ، والاضلال عن سبيل الله ، والفرار من الزحف ، والتكسب بما يحرم التكسب به ، وكتمان الشهادة . ويلزم للمرء أن يطلع على الكبائر ، في الرسائل العملية .

واكبر الكبائر تلك التي اوجب الله عليها الخلود في النار ، كالقتل العمد .

يقول تعالى :

﴿ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾[1] .

والكبائر تترك آثاراً سيئة وخطيرة على الفرد من جهة ، والمجتمع من جهة ثانية ، وتغضب الله أشد الغضب من جهة ثالثة . وباجتناب الكبائر يحقق الانسان ما يلي :

١ ـ تطبيق مبدأ تقوى الله ، وخشيته ، ومبدأ وجوب اطاعته .

٢ ـ صيانة النفس من الآثار السلبية الخطيرة الكبائر ، الفردية منها والاجتماعية .

٣ ـ صيانة المجتمع من هذه الآثار .

٤ ـ تحقيق مرضاة الرب .

٥ ـ الحكمة .

وبما أن الحكمة هي المعرفة ، ووضع الشيء في موضعه ، فاجتناب الكبائر التي اوجب الله عليها النار هو تطبيق لمعرفة حقة ، ووضع للشيء في موضعه بالتأكيد . وعليه فالحكمة تقود الى اجتناب الكبائر ، والحكيم هو من يجتنبها ، ويعمل على أن لا يصرّ على الصغائر (الذنوب الصغيرة) ، او لا يرتكبها .

يقول تعالى في القرآن الحكيم :

﴿ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الإثم ، والفواحش الا

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٣ .

اللمم[1] ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الأرض واذا انتم اجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى﴾[2] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« الكبائر سبع : قتل المؤمن متعمداً ، وقذف المحصنة ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة[3] ، وأكل مال اليتيم ظلما ، وأكل الربا بعد البيّنة ، وكل ما اوجب الله عليه النار »[4] .

حد الحكمة :

ما هو الحد؟

الحد هو الحاجز بين شيئين ، وهو منتهى الشيء واطاره ، وجمعه حدود ، والمحدود هو المعين بحدوده . فحدّ الصورة هو الاطار المحدّد لها ، والذي يميزها ، ويحجزها عن غيرها . وبناءً على ذلك فحدّ الحكمة هو الحاجز بينها وبين اللاحكمة ، وهو اطارها المحدّد لها .

يقول الإمام علي (ع) :

« حد الحكمة : الاعراض عن دار الفناء ، والتولّه بدار البقاء »[5] .

لو تصوّرنا الحكمة ، حديقة ، ولهذه الحديقة سياج يحددها ، ويحجزها ويميزه عن غيرها ، فكل ما هو واقع في داخل هذا السياج هو من ضمن

---

(١) الذنوب الصغيرة ، ويعتبر الاصرار عليها من الكبائر .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣١ ـ ٣٢ .

(٣) المقصود ترك الدين .

(٤) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص٤٦٠ .

(٥) المصدر السابق ـ ج٢ ـ ص٤٩٥ .

الحديقة ، وجزء منها ، وكل ما هو خارجه ليس منها . وعلى ذلك يمكن القول : ان كل ما هو واقع ضمن حدود الاعراض عن دار الدنيا ـ باعتبارها مزرعة للآخرة ـ ، والتولّه بالدار الآخرة ، هو من الحكمة ، وكل ما هو خارج عن هذه الحدود ، ليس من الحكمة في شيء .

فلكي تكتسب الحكمة وتصل اليها يجب أن تكون ممارساتك في الحياة ضمن هذه الحدود .

رأس الحكمة:

الرأس من الشيء هو مقدمته ، وأوله ، وايضا اعلى جزء فيه . ففي الكائنات الحية العمودية ـ كالانسان ـ يكون الرأس أعلى جزء فيها ، بينما في الكائنات الحية شبه الافقية ، كالخيول ، والجمال ، والبقر ، والغنم والقرود ، و . . . ، والافقية كالزواحف ، مثل الوزغ ، والتمساح ، والحشرات ، مثل النمل ، والنحل ، والذباب ، و . . . ، يكون الرأس في أولها ، ومقدمتها . ويفهم ايضاً من الرأس أنه الجزء القائد . والمدبر للشيء .

فرأس الحكمة يفهم منه انه مقدمة الحكمة ، أو أولها ، أو انه اعلى مرحلة من مراحلها ، او أنه الشيء المؤدي والقائد اليها ، أو أنه الرئيس والقائد لها . ويتبين من خلال الأحاديث الشريفة والروايات ، أن رأس الحكمة هو مقدمتها ، وأولها ، وان كانت مخافة الله هي مقدمة الحكمة ، وأعلى مرحلة من مراحلها ايضاً . فعلى سبيل المثال : هناك حديث شريف ، يعتبر الرفق رأس الحكمة . ومنه نستنتج ان الرفق لا يمثل اعلى مرحلة من مراحل الحكمة ، وانما يمكن ان يكون مقدمة ، ومدخلا لها .

ومن رؤوس الحكمة التي تذكرها الاحاديث الشريفة والروايات ما يلي :

١ ـ مخافة الله .

٢ ـ خشية الله .

٣ ـ حفظ الدين .

٤ ـ طاعة الله .

٥ ـ لزوم الحق ، وطاعة المحق .

٦ ـ الرفق .

٧ ـ تجنب الخدع .

الحكمة ، ضالة المؤمن .

يقول امير المؤمنين ، علي بن ابي طالب (ع) :

« الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق »[1] .

هل حدث لك أن أضعت شيئاً ثميناً ؟

اذا كان كذلك ، فلا شك انك كنت تبحث عن الشيء المفقود بلهفة ، ودقة ، آملاً في الحصول عليه . وهكذا حال الحكمة بالنسبة للانسان المؤمن ، فهي ضالته ، اي شيئه المفقود الذي يسعى وراءه ، ويبحث عنه باهتمام بالغ ، كما تسعى الام في البحث ، وراء طفلها المفقود!

وليس مهماً عند من تكون الحكمة وكيف واين تكون ، بل المهم الحكمة ذاتها ، وهذا ما يدل عليه قول الإمام . لان الحكمة أمر عقلاني . ومنطقي ، بصرف النظر عن الشخص ، او الجهة التي انطلقت منها ، حتى قيل : خذ الحكمة ، ولو من رؤوس المجانين!

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٢ .

وهناك روايات متعددة في هذا المجال ، من ضمنها قول الإمام علي (ع) :

« خذ الحكمة انى كانت ، فان الحكمة تكون في صدر المنافق ، فتلجلج في صدره ، حتى تخرج ، فتسكن الى صوابها في صدر المؤمن »[1] .

ويقول (ع) :

« الحكمة ضالة المؤمن ، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها ، وأهلها »[2] .

ويقول (ع) : « الحكمة ضالة كل مؤمن ، فخذوها ولو من أفواه المنافقين »[3] .

ويقول السيد المسيح (ع) :

« لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران ، في ليلة مظلمة ، لاستضأتم به ، ولم يمنعكم منه ريح نتنه ، كذلك ينبغي لكم ان تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ، ولا يمنعكم سوء رغبته فيها »[4] .

ويقول الإمام زين العابدين (ع) : -

« لا تحقر اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة ، فان أبي حدثني قال : سمعت امير المؤمنين (ع) يقول : ان الكلمة من الحكمة لتتلجلج في صدر المنافق نزاعا الى مظانها ، حتى يلفظ بها ، فيسمعها المؤمن ، فيكون

---

(١) ميزان الحكمة - ج٢ - ص٤٩٢ .
(٢) المصدر السابق - ص٤٩٢ .
(٣) المصدر السابق - ص٤٩٢ .
(٤) المصدر السابق - ص٤٩٢ .

احق بها ، فيتلقفها »[1] .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« كلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها »[2] .

وهنا نقطة هامة من الضروري ذكرها ، فيما يرتبط بأخذ الحكمة من الآخرين أنى كانوا ، وهي : ان لا يكون أخذ الحكمة ، والاسلوب المؤدي الى أخذها على حساب المبادىء . اي ان لا تكون الحكمة مناقضة للشرع الاسلامي ، والاّ فليست هي بحكمة .

وهذه مسألة ترتبط بالاستفادة من علوم الشرق ، والغرب ، وغيرهما ، ومن انجازاتهم الحديثة في جميع المجالات . فالاسلام يدعونا الى الاستفادة من علوم الآخرين ، وانجازاتهم ، بل حتى من علوم الاعداء وتجاربهم ، الا أن أمراً هاماً يجب ان ننتبه اليه ، وهو ان لا تكون كلمة الإمام علي (ع) ، « خذ الحكمة أنى كانت . . » ، مبرراً لنا لأن ندخل الى الإسلام ما ليس فيه ، وندعي ان ذلك من الإسلام ـ وهو مناقض له ـ ومن باب أخذ الحكمة أنى كانت . وبكلمة : أن شرط أخذ الحكمة من الآخرين ، ان تكون الحكمة ، يقرها الإسلام والعقل ، والاّ فهي ليست بحكمة ، ودخيلة على الإسلام .

فما أجمل الانسان ، وهو يبحث عن الحكمة! وما أغنى أحاديث الرسول (ص) ، وروايات الأئمة (ع) ، بالحكمة !

والآن فلكي نكتسب الحكمة من السنة ، ونجعل تصرفاتنا واعمالنا في الحياة حكيمة ناجحة ، يلزم لنا اتباع القواعد التالية :

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٩٢ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٩٢ .

١ ـ ان نتخذ السنة النبوية الشريفة صديقة حميمة لنا ـ كما القرآن ـ ونقرأها قراءة تطبيق ، وعمل .

٢ ـ ان نتعلم الاحاديث ، والروايات الشريفة ، ونطبق ما تأمرنا به ، وتنهانا عنه ، بجدية ، واخلاص ، ونية صادقة .

٣ ـ ان ننهل الحكمة منها ، لأنها شارحة القرآن ، ومفصلة لما اجمل فيه ، وكل حديث يفيض بالحكمة .

٤ ـ ان تكون علاقتنا بالرسول الأعظم (ص) ، وبالأئمة (ع) ، علاقة التلميذ بالاستاذ ، والمقود بالقائد ، لكي نتعلم من حكمتهم ، ونكتسب منها .

٥ ـ ان نطهر انفسنا ونربيها على ضوء السنّة وحكمتها .

٦ ـ ان نتعامل مع الناس ـ وفي جميع المجالات ـ على ضوئها .

٧ ـ ان تكون المرجع الآخر لنا ، نعرض عليها انفسنا ، وتصرفاتنا الفردية ، والاجتماعية ، فنسير على هديها . .

٨ ـ ان نتأمل فيها ، ونستنتج في اطارها لا خارجاً عنها ، والتأمل فيها ، والاستنتاج منها يكسب الحكمة .

٩ ـ ان نتعظ بها ، ونعتبر ، ونتأدب بآدابها ، ونتخلق بأخلاقها .

١٠ ـ ان نستثمر آفاق العلم ، والمعرفة التي تفتحها لنا ، وننهل منها .

١١ ـ ان نجعل المعرفة خلقنا في الحياة ، ونتفقه في ديننا ، فالفقه عماد الدين .

١٢ ـ ان نطيع الله دائماً ، واينما كنا ، ونعرف امامتنا وقيادتنا .

١٣ ـ ان نجتنب الكبائر التي اوجب الله عليها النار ، وان لا نستخف

بالذبوب مهما صغرت .

١٤ ـ ان يكون شوقنا الى الدار الآخرة ، واعراضنا عن الدنيا مع اخذ النصيب منها ، خطنا الذي نسير عليه في حياتنا ، فلا نتجاوزه .

١٥ ـ ان تكون مخافتنا لله وسيلتنا في اطاعته ، واجتناب نواهيه .

١٦ ـ ان تكون الحكمة دائماً ضالتنا المفقودة التي نبحث عنها .

أحاديث شريفة في الحكمة :

« الحكمة رياض النبلاء ، العلوم نزهة الادباء »[١] . الإمام علي (ع) .

« الحكمة شجرة تنبت في القلب ، وتثمر على اللسان »[٢] . الإمام علي (ع) .

« من عرف الحكمة ، لم يصبر على الازدياد منها »[٣] . الإمام علي (ع) .

« كلمة الحكمة يسمعها المؤمن ، خير من عبادة سنة »[٤] . الرسول الاعظم (ص) .

من وصية لقمان لابنه :

« يا بني! تعلم الحكمة ، تشرف بها ، فان الحكمة تدل على الدين ، وتشرف العبد الحر ، وترفع المسكين على الغني ، وتقدم الصغير على الكبير »[٥] .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٠ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩٠ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩٠ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩١ .

« اول الحكمة ترك اللذات ، وآخرها مقت الفانيات »[1] . الإمام علي (ع) .

« حد الحكمة الاعراض عن دار الفناء ، والتوله بدار البقاء »[2] . الإمام علي (ع) .

« من الحكمة أن لا تنازع من فوقك ، ولا تستذل من دونك ، ولا تتعاطى ما ليس في قدرتك ، ولا يخالف لسانك قلبك ، ولا قولك فعلك ، ولا تتكلم فيما لا تعلم ، ولا تترك الأمر عند الاقبال ، وتطلبه عند الادبار »[3] . الإمام علي (ع) .

« . . . ومن حكمته (يعني المرء) ، علمه بنفسه »[4] . الإمام علي (ع) .

« حفظ الدين ثمرة المعرفة ، ورأس الحكمة »[5] . الإمام علي (ع) .

« رأس الحكمة ، لزوم الحق ، وطاعة المحق »[6] . الإمام علي (ع) .

« رأس الحكمة ، مخافة الله »[7] . الإمام علي بن الحسين (ع) .

« خشية الله ، رأس كل حكمة »[8] الرسول الأعظم (ص) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٩٥ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩٥ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩٥ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩٥ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .

« ان اشرف الحديث ذكر الله ، ورأس الحكمة طاعته »[1] الإمام الصادق (ع) .

« ان الرفق رأس الحكمة »[2] الرسول الاعظم (ص) .

« غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة »[3] الإمام علي (ع) .

« غير منتفع بالعظات ، قلب متعلق بالشهوات »[4] الإمام علي (ع) .

« ان الحكماء ضيعوا الحكمة لمّا وضعوا عند غير اهلها »[5] . الإمام علي (ع) .

« واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير ، الجوهر ، واللؤلؤ ، والذهب »[6] . الرسول الأعظم (ص).

« ان الحكمة نور كل قلب »[7] . السيد المسيح (ع) .

« من خزائن الغيب تظهر الحكمة »[8] . الإمام علي (ع) .

« من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة »[9] . الإمام

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩٩ .
(٤) المصدر السابق ـ ص
(٥) المصدر السابق ـ ص
(٦) المصدر السابق ـ ص
(٧) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٠ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .

علي (ع) .

قيل للقمان ما الذي اجمعت عليه من حكمتك؟ قال :

« لا اتكلف ما قد كفيته ، ولا اضيع ما وليته »[1] .

« واي كلمة حكم جامعة ان تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لها »[2] الإمام علي (ع) .

« كاد الحكيم ان يكون نبيا »[3] . الرسول الاعظم (ص) .

« الحكيم يشفي السائل ، ويجود بالفضائل »[4] . الإمام علي (ع) .

« الحكماء اشرف الناس انفساً ، واكثرهم صبراً ، واسرعهم عفواً ، واوسعهم أخلاقاً »[5] . الإمام علي (ع) .

« لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم الا ذو تجربة »[6] . الرسول الاعظم (ص) .

« اعيا ما يكون الحكيم اذا خاطب سفيها »[7] . الإمام علي (ع) .

« ان كلام الحكيم اذا كان صواباً كان دواءاً ، واذا كان خطأ كان داءاً »[8] ! . الإمام علي (ع) .

عن الشعبي قال : تكلم أمير المؤمنين (ع) بتسع كلمات ، ارتجلهن

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩٥ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .

ارتجالاً ، فقأن عيون البلاغة ، وأيتمن جواهر الحكمة . وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن . ثلاث منها في المناجاة ، وثلاث منها في الحكمة ، وثلاث منها في الأدب .

فأما اللاتي في المناجاة فقال :

« الهي! كفى بي عزاً ان اكون ذلك عبداً ، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً ، انت كما أحب فاجعلني كما تحب » .

وأما اللاتي في الحكمة فقال :

« قيمة كل امرىء ما يحسنه ، وما هلك امرء عرف قدره ، والمرء مخبوء تحت لسانه » .

واللاتي في الادب فقال :

« امنن على من شئت تكن أميره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره »[1] .

«انما العلم ثلاثة : آية محكمة ، او فريضة عادلة ، او سنة قائمة ، وما خلاهن هو فضل »[2] . الإمام الكاظم (ع) .

« الحكمة ضياء المعرفة ، وميراث التقوى ، وثمرة الصدق ، وما انعم الله على عبد من عباده نعمة انعم ، وأعظم ، وأرفع ، واجزل ، وابهى من الحكمة . قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب**﴾ . اي لا يعلم ما اودعت وهيأت في الحكمة الا من استخلصته لنفسي وخصصته بها ، والحكمة هي الثبات ، وصفة

---

(١) بحار الأنوار - ج٧٧ - ص٤٠٠ .

(٢) بحار الأنوار - ج١ - ص٢١١ .

الحكيم الثبات عند أوائل الامور ، والوقوف عند عواقبها ، وهو هادي خلق الله الى الله تعالى »[1] . الإمام الصادق (ع) .

(١) المصدر السابق ـ ص٢١٥ .

الحكمة والعلم وعلاقتهما بالعمل

يقول الإمام علي (ع) :

« العلم ثمرة الحكمة والصواب من فروعها » .

« بالعلم تعرف الحكمة » .

سبق ان عرفنا الحكمة ، وذكرنا ان من احد تعاريفها ، العلم .

فما هو العلم ؟

تعريف العلم :

ان اصل كلمة العلم من الفعل عَلِمَ ، اي حصلت له حقيقة العلم ، وعرف ، وتيقن ، والعلم ـ وجمعها علوم ـ هو ادراك الشيء بحقيقته ، وهو اليقين ، والمعرفة .

ولكن ، اي علم ، حكمة ؟

وهل كل حكمة ، علم ؟

وما هي العلاقة بينهما ؟

وللاجابة على ذلك ، يلزم ان نتعرف باختصار على بعض انواع العلم ، او مجالاته ، لان كلمة العلم ، كلمة فضفاضة واسعة ، لا بد للانسان أن يفقه حدودها ، ونطاقها ، لكي يكون علي بينة من امره ، ولكي لا يكون واقعا في دائرة الغموض ، والابهام ، وعدم الاستيعاب لحقيقة كلمة العلم .

من انواع العلم ، او مجالاته .

للعلم انواع منها :

العلوم الدينية :

وهي العلوم الشرعية . التي تذكر فيها الاحكام الشرعية العملية ، والاعتقادية ، كعلم الكلام ، وعلم الفقه .

العلوم الالهية :

وهي العلوم التي تبحث عن الوجود المطلق ، من حيث هو ، وعما يتعلق به بأمور غير مادية ، كالواجب ، والممكن ، والعلة ، والمعلول ، ويدخل فيها البحث في الارواح ، وفي الله ، ويسمى بالعلم الاعلى ، والفلسفة الاولى ، وما بعد الطبيعة (الميتا فيزيقا) .

العلوم الحقيقية :

وهي العلوم التي لا تتغير بتغير الملل ، والاديان ، كعلم الكلام ، وعلم المنطق .

العلم اللّدني :

وهو ما تعلمه العبد من الله بالوحي من غير واسطة ، وهو مقصور على الانبياء ، والرسل .

العلوم التعليمية :

وهي العلوم الرياضية ، كالحساب ، والجبر ، والهندسة ، والمساحة ، والفلك ، و. . . . . .

العلم النظري:

وهو العلم الذي لا يتعلق بكيفية عمل .

العلم العملي :

وهو العلم المتعلق بكيفية عمل ، فتطبق فيه قواعد الفنون ، والعلوم ، ومبادؤها .

العلوم الآلية :

وهي آلة لتحصيل غيرها ، كعلم المنطق ، والنحو .

العلوم العربية :

وهي العلوم المتعلقة باللغة العربية ، كالصرف . والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، وتسمى بعلم الادب .

العلوم المدونية :

وهي العلوم التي دونت في الكتب .

العلوم المتعارفة :

وهي المقدمات البينة بنفسها في العلوم المدونة .

علم الفلك :

وهو العلم الذي يبحث في مواقع الاجرام السماوية ، وابعادها ،

ومادتها ، وشكلها ، ومدة دورانها .

علم النفس (السيكولوجيا) .

وهو العلم الذي يبحث في نفس الانسان .

علم الجيولوجيا :

وهو العلم الذي يبحث في طبقات الارض .

علم الحياة (بيولوجيا) :

وهو العلم الذي يبحث في الكائنات الحية .

علم الاجتماع (سوسيو لوجيا) .

وهو علم دراسة المجتمع .

علم وظائف الاعضاء (فيزيولوجيا) :

وهو العلم الذي يبحث في وظائف اعضاء الكائنات الحية .

علم الكيمياء :

وهو العلم الذي يبحث في التفاعلات الكيميائية الناتجة عن تفاعل مواد مع مواد اخرى .

علم الطبيعة (الفيزياء) :

وهو العلم الذي يبحث في الظواهر الطبيعية .

علم الميكانيكا :

وهو العلم الذي يبحث في حركة الاجسام ، والقوى المؤثرة عليها . وهو

على قسمين :

علم الديناميكا : وهو علم يبحث في الاجسام المتحركة .

علم الاستاتيكا : وهو علم يبحث في الاجسام الساكنة .

وهنالك الكثير جدا من انواع العلوم التي لا يتسع المجال لذكرها . ولقد ساعدت فكرة التخصص العلمي ، وفكرة الربط بين علمين ، وفكرة اخذ كل فرع من علم معين على حدة ، والتوسع فيه ، ساعدت على ظهور فروع علمية تخصصية كثيرة جدا .

فعلى سبيل المثال لا الحصر : علم الكيمياء ، هناك :

- الكمياء الطبيعية .
- الكيمياء العضوية .

الكمياء الغير عضوية .

- و . . . . .

وعلم النفس ، فهناك :

- علم النفس التربوي .
- وعلم النفس الاجتماعي .
- وعلم النفس الحربي .
- وعلم النفس الصحي .

- و . . . .

العلاقة بين العلم والحكمة :

نعود فنتساءل :

اذا كانت الحكمة هي العلم ، والمعرفة ، فأي علم هو الحكمة ؟

وما هو المقصود من كلمة العلم ومشتقاتها ، الواردة في القرآن الحكيم ، والسنة النبوية ، وروايا أئمة أهل البيت (ع)؟

هل هو علم المعارف الإلهية كالاعتقادات الحقة ، والأخلاق الفاضلة ، والأحكام الفرعية التي يتضمنها القرآن الحكيم ، وعلم التفقه في الدين فقط ، أم يشمل أيضاً العلوم الأخرى جميعاً ، وكل معرفة يؤيدها العقل وتنفع الانسان في حياته ؟

وللاجابة على هذه الاسئلة ، يلزم في البداية ذكر ما يلي :

تبين مسبقا بأن من تعاريف الحكمة ، العلم ، والمعرفة . وبما ان من تعاريف العلم انه المعرفة ، والتيقن ، فيكون العلم (الصحيح من العلم) حكمة ، باعتباره وضع للشيء في موضعه ، وتكون الحكمة علما ، باعتبارها وضع للشيء في موضعه ايضا .

اما ايهما الأصل ، هل هو الحكمة ام العلم ؟ فيتبين من كلمتي الإمام علي (ع) الآنفتي الذكر ، ان كليهما قد يكون اصلا وثمرة للآخر . فكما ان العلم ثمرة الحكمة ، فالحكمة تعرف بالعلم ايضا . والدليل على ذلك ، انه كم من حكم اثمرت ، وانتجت علوما ، وكم من علوم تمخض عنها حكم .

يقول تعالى في القرآن الحكيم :

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ﴾[1] .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

حقيقة رئيسة :

يقول القرآن الحكيم :

﴿وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[1] .

ويقول الإمام الباقر (ع) :

« ان الله لم يدع شيئا تحتاج اليه الأمة الى يوم القيامة الا أنزله في كتابه ، وبينه لرسوله ، وجعل لكل شيء حداً ، وجعل عليه دليلا يدلّ عليه »[2] .

وهنا حقيقة اولية ، لابد من ذكرها ، وهي ان القرآن كتاب وظيفته تعليم الانسان ، الانسانية ، وعلم الانسانية يبحث في انسانية الانسان ، وبيان القانون الاسلامي ، والاحكام الشرعية الاسلامية التي تنظم حياته ، في كافة المجالات الحياتية ، والمجالات التي تربطه باخيه الانسان .

ويتبين من هذه الحقيقة ، ان القرآن ليس كتاباً متخصصاً في الطب ، او الهندسة ، او الكيمياء ، او التاريخ ، او الجيولوجيا ، او البيولوجيا ، او الفلك وغيرها من العلوم الحديثة او القديمة . ولكنه في الوقت نفسه شامل لاصول هذه العلوم ، وعلى الانسان الجد والاجتهاد في التوصل الى جزئيات هذه العلوم ، واكتشافها . وعليه فالقرآن هو المنبع ، والاب ، والمرشد لهذه العلوم جميعا ، وهو الداعي ، والموجه ، والمساند لها ولا تعارض ، ولا تناقض بينه ، وبينها ، اذ أن القرآن الحكيم يهدف الى رقي وتقدم الامم ، عن طريق الايمان بالله ،

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

(٢) بحار الانوار .

والاخذ بالعلوم الدينية القرآنية التي جوهرها الايمان بالله ، وتوحيده، والالتزام العملي باحكامها ، وقوانينها ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يدعو ويهدف الى الاستفادة من مختلف العلوم والاكتشافات في تقدم الحياة الانسانية ، مع المحافظة على ان تكون هذه العلوم ضمن اطار توجيهات واحكام العلوم الدينية ، وعلى ارتباط قوي بها ، وغير منفصلة عنها .

وبعبارة اخرى : ان القرآن تارة يورد كلمة العلم او مشتقاتها بمعنى علم الفقه في الدين ، وتارة أخرى بمعنى الوعي واستخدام العقل ، وتارة ثالثة بمعنى كل معرفة مشروعة يؤيدها العقل ، وتنفع الانسان ، ومنها هذه العلوم المتقدمة التي نلمس آثارها اليوم .

القرآن يدعو الى العلم في كافة المجالات المشروعة:

وحينما نقول : ان القرآن هو المنبع ، والشامل لاصول العلوم الحياتية ، والعلوم الحديثة ، يجب ان تدرك انه مرسل من خالق هذا الكون ، الحكيم ، العالم بكل شيء فيه ، وانه اعطى للانسان مجموعة من الحقائق العلمية في مختلف الحقول العلمية كآيات ، وادلة ، وشواهد ، وامثلة على الموضوعات الالهية ، والانسانية التي يطرحها ، تاركا للانسان مهمة الاكتشاف ، والابتكار ، والابداع ، والتطوير ، في مختلف الحقول ، والمجالات ، لكي يحقق بالفعل مفهوم خلافته لله ، وعمارته للارض ضمن اطار الدين .

وكمثال على ذلك : ان القرآن الحكيم اشار الى قضية غزو الفضاء ، تاركا للانسان فرصه التوصل الى تحقيقها ، وفي ذلك يقول :

﴿يا معشر الجن ، والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات ، والارض ، فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان﴾[1] .

---

(١) سورة الرحمن، الآية : ٣٣ .

واذا بالعلماء في عصرنا الحاضر ، يستفيدون من هذه الآية الكريمة عمليا ، ويغزون الفضاء ـ بالاعتماد على التقدم العلمي ، والتقني ـ ويصلون الى القمر ، والمريخ .

وكثيرة هي الظواهر الطبيعية التي اشار اليها القرآن ، كظاهرة السراب ، الناتجة من انكسار الضوء ، واذا بـالعلم الحديث ، يكشف هذه الظاهرة ، وغيرها من الظواهر ، ويبقى الكثير منها لم يكشف .

وقس على ذلك الكثير من القضايا والظواهر والحقائق العلمية في مختلف المجالات ، التي اشار اليها القرآن الحكيم وبشكل مركز .

ومن هذا يتبين لنا ان العلوم الالهية والدينية هي الام لكل العلوم الاخرى ، ويجب ان تعتبر كذلك ، ويسار على هديها ، وفي اي علم من علوم الحياة . لان العلم ـ اي علم ـ اذا لم يقد الانسان الى الله ، ويهديه اليه ، لهو علم ضائع ، ومبتور ، حتى لو حقق كثيرا من التقدم ، اذ ان كل علم هو آية من آيات الله ، والانسان مكلف باكتشاف تلك الآيات .

واذا كانت العلوم ، والاكتشافات ، آيات من آيات الله ، فمن الخليق ان تقود الانسان الى الله ، الذي برأه ، وبرأها من العدم .

فما اجمل الطبيب المتخصص ، حينما يقوده طبه الى الله ، فيكون متديناً ، ملتزماً بتعاليم القرآن ، متفقهاً في الدين ، وحكيماً ، واخلاقياً !

وما اجمل المهندس ، والجيولوجي ، والكيميائي ، والفلكي ، والمربي ، واخصائي الكمبيوتر ، وأخصائي الذرة ، وغيرهم من المتخصصين ، ما اجملهم حينما يكونون دينيين ، وفي اطار توجيهات الدين!

اننا ـ مع مزيد الاسف ـ نجد في مجتمعاتنا فصلاً شديداً بين العلوم

الالهية والدينية والقرآنية ، وبين العلوم الحياتية الاخرى . فما اكثر الاطباء ، والمهندسين ، والتكنولوجيين ، والاخصائيين في العلوم ، والحقول الاخرى ، والبعيدين كل البعد عن القرآن ، وعن روح التدين، والالتزام ، مع انهم مسلمون ولو انهم فكروا جيدا ، ورجعوا الى عقولهم ، وفطرتهم ، لاكتشفوا ان تلك العلوم ، والتخصصات يجب ان تقودهم الى حديقة القرآن ، والايمان بالله ، والالتزام بتعاليمه ، والحكمة الحقيقية ، لا الى وحل التحرر من الدين والالتزام الديني ، او الالحاد ، او محاربة الدين . ان هناك من يعتقد ان العلم بديل عن الدين ، وهذا الاعتقاد خطأ فاحش وخطير ، فالعلم بلا دين انحراف وضلال ، كما ان الدين بلا علم جهل وتخلف ، وعليه فان الدين امام العلم ، وملازم له ولا يفترق عنه .

مكانة العلم ، والعلماء في الإسلام :

يقول الرسول الاعظم (ص) :

« اطلبوا العلم ، ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ومسلمة »[1] .

ويقول (ص) :

« اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » .

ويقول الإمام علي (ع) :

« العلم حياة الإسلام وعماد الدين »[2] .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٦٣ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٥٢ .

وعن امير المؤمنين (ع) قال :

سمعت رسول الله (ص) يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، به يطاع الرب ، وبه توصل الارحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، العلم امام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ، ويحرمه الاشقياء »[1] .

ويقول (ع) :

« ان العلم حياة القلوب ، ونور الابصار من العمى ، وقوة الابدان من الضعف »[2] .

ويقول تعالى :

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ .

﴿انما يخشى الله من عباده ، العلماء﴾[3] .

ويقول رسول الله (ص) : « علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل »[4] .

ويقول (ص) ايضا :

« مداد العلماء ، من دماء الشهداء »[5] .

ويقول (ص) ايضا :

« العلماء امناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ، ويداخلوا الدنيا ، فاذا

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٥٣ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٥٢ .
(٣) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .
(٤) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٥٦ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٥٧ .

خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فاحذروهم »[1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« . . . العلماء باقون ما بقي الدهر »[2] .

للعلم ، والعلماء ـ وخصوصا الفقهاء ـ مكانة ، واهمية بارزة في الإسلام ، وهناك الكثير من الآيات القرآنية ، والاحاديث الشريفة ، والروايات ، تعني بالعلم ، والعلماء ، وتعليم العلم . وما اكثر مشتقات لفظة العلم في القرآن الحكيم! وليس غريبا ان نجد في الإسلام ان النظر الى وجه العالم عبادة .

والإسلام يكره الجهل والامية ، ويمقتهما اشد المقت ويعمل على ازالتها ، لانها ضد العلم ، وعدوا الحكمة ، فالحكمة لا تتواجد ، او لا تنمو في وسط الجهل ، والامية ، كما النبتة لا تنمو في جو ينعدم فيه الضوء ، والهواء ، والتربة الصالحة . ومن المؤلم ، ان البلاد الإسلامية ، او دول ما يدعى بالعالم الثالث تعاني من الأمية بشكل مذهل ، فقد تصل نسبتها في بعض البلاد الإسلامية الى ٨٠٪ ، وفي البعض الآخر ٦٠٪ ، وفي بعض ٥٠٪ ، من جملة عدد السكان! بينما لا تجد هذه النسب في الغرب او الشرق . ومن جهة اخرى ان الجهل ، والأمية من مسببات ، وعوامل التخلف ، وسيطرة المستكبرين على الشعوب . ولأهمية العلم ، ودوره في بناء ، وتنوير المجتمع ، نجد ان رسول الله (ص) ، كان يطلق كل اسير من المشركين ، في مقابل تعليمه لمجموعة من المسلمين .

ويقول الإمام (ع) :

---

(١) المصدر السابق ـ ص٥٢٠ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٤٥٨ .

« الجهل موت » . « الجهل وبال » . « الجهل اصل كل شر » . « الجهل يفسد المعاد »[1] .

وهكذا الحال بالنسبة للعلماء ، فلأهميتهم ، اعتبروا امناء للرسل ، والانبياء . وبمقدار ما على كاهلهم من مهمات ، ومسؤوليات ، كانت مكانتهم ، والا فان المكانة لا تنبثق من الفراغ ، ولا تكون لمجرد العلم ، والتوسع العلمي .

ان العالم الفقيه في الإسلام ، هو القائد ، والمرشد ، والموجه ، فاذا صلح ، صلح الناس ، وعكس ذلك صحيح .

يقول الإمام الحجة (عج) :

« اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا ، فهم حجتي عليكم ، وانا حجة الله عليهم »[2] .

ويقول (ع) ايضا :

« من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لامر مولاه ، فللعوام ان يقلدوه » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« اذا صلح العالِم ، صلح العالَم »[3] .

وبناء على هذا فان المطلوب من العلماء ان يكونوا حكماء ، يضعون

---

(١) شرح الغرر الدرر - ج٧ - ص٥٢ .
(٢) ميزان الحكمة - ج٢ - ص٢٨٢ .
(٣) تحف العقول .

علمهم موضعه ، ويصبحوا محركات مجتمعهم ، فيكونوا قادة ، ومرشدين ، وموجهين ، ومتواضعين ، لا يعرفون للوصاية على الناس ، او الهيمنة عليهم أي معنى ، كما كان رسول الله (ص) ، والإمام علي (ع) ، وباقي ائمة اهل البيت (ع) ، مع الناس . ولكي يصدق عليهم قول الله ـ تعالى ـ في موعظته لعيسى بن مريم (ع) :

« عظم العلماء ، واعرف فضلهم ، فان فضلهم على جميع خلقه ـ الا النبيين ، والمرسلين ـ كفضل الشمس على الكواكب ، وكفضل الآخرة على الدنيا ، وكفضلي على كل شيء »[1] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« عالم ينتفع بعلمه ، افضل من سبعين الف عابد »[2] .

ولأن الله فضل العلماء الحقيقيين ، فقد حث الناس على مجالستهم ، وملازمتهم ، والتنور بعلومهم ، ومعارفهم ، والاقتداء بتقواهم ، واخلاقياتهم ، وسلوكياتهم . فما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم ، الا ناداه الله تعالى :

« جلست الى حبيبي ، وعزتي وجلالي! لاسكنتك الجنة معه ، ولا ابالي »[3] .

وأوحى الله ـ تعالى ـ الى دانيال النبي ـ عليه السلام :

« ان أمقت عبيدي اليّ ، الجاهل المستخف بحق اهل العلم ، التارك الاقتداء بهم . وان احب عبيدي اليّ ، التقيّ ، الطالب للثواب الجزيل ،

---

(١) كلمة الله ـ ص١٥٨ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٥٩ .

(٣) كلمة الله ـ ص١٥٨ .

الملازم للعلماء ، التابع للحكماء ، القابل عن الحكماء »[1] .

والإسلام لا يعظم العلماء والفقهاء ـ فقط ـ بل انه يولي اهتماماً كبيراً حتى بالعلماء في العلوم الحياتية الاخرى ، لانهم ذوو فضل في اكتشاف كثير من المجهولات ، والاجهزة التي تسهم في تقدم الحياة البشرية . ومن هنا يمكن القول : ان مفهوم كلمة « العلم » في الإسلام تعني كل ما من شأنه اسعاد الانسان ، ورفع الجهل ، وحصول المعرفة واليقين ، في اي مجال من المجالات ، مع التأكيد على كون العلوم الدينية او الشرعية هي الاساس والاصل ، وان علماء الدين والشريعة الحقيقيين (الفقهاء) يتميزون بمنزلة خاصة في الإسلام .

علاقة العلم بالعمل .

. يقول الإمام علي (ع) :

« العلم امام العمل ، والعمل تابعه »[2] .

ويقول الرسول الاعظم (ص) :

« من عمل على غير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلح »[3] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل عنه »[4] .

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٥٩ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص

(٣) المصدر السابق ـ ص٥٠٤ .

(٤) المصدر السابق ـ ص٥٠٥ .

ويقول (ع) ايضا :

« اوضع العلم ما وقف على اللسان ، وارمقه ما ظهر في الجوارح ، والأركان »[1] .

ويقول (ع) ايضا :

« لا تجعلوا علمكم جهلا ، ويقينكم شكا . اذا علمتم فاعملوا ، واذا تيقنتم فاقدموا »[2] .

ويقول (ع) ايضا :

« الداعي بلا عمل ، كالرامي بلا وتر »[3] .

قبل تبيان العلاقة بين العلم ، والعمل من المهم تعريف العمل .

فالعمل في الإسلام يعني كل عمل صالح ، او كل ممارسة صالحة يتحقق فيها رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعليه فالعمل في الإسلام لا ينحصر في العبادة ، كما ان العلم لا ينحصر في فقه العبادات ، والاحكام الشرعية . واهمية تعريف العمل تنبع من ان مفهومه قد يلتبس على البعض ، اذ أن المناهج التعلمية في انظمة الظلم والطغيان تبرز أن الإسلام يدعو الى العمل ، ولكن اي عمل ، وما هي مجالاته ، فهذا ما تتركه مبهما لكي تظل الشعوب جاهلة للمفهوم الشامل للعمل ، ومن ثم لكي تحافظ تلك الأنظمة على بقائها على رأس السلطة .

وعلاقة العلم بالعمل يمكن تركيزها في امرين :

---

(١) المصدر السابق ـ ص٥١١ .

(٢) نهج البلاغة ـ ص٥٢٤ .

(٣) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص٢٥٥ .

١ ـ ان العلم هـو الإمام ، والقـائد ، والمـوجه للعمـل ، إذ أن العمـل يستقيم ، ويزدهر بالعلم ، وان العمل على غير بصيرة كالسير على غير طريق ، يؤدي الى زيـادة الابتعاد عن الـطريق . وهذا الامـر يجري على العبـادات ، فالعبادة يجب ان تكون مع التفقه ، فالعابد بلا فقه كمثل الذي يبني بالليل ، ويهدم بالنهار ، كما يجري على الاعمال الاخـرى ، وفي شتى المجالات ، ومثال ذلك : ان قيادة الدولة ـ والتي هي عمل من الاعمال ـ يجب ان تكون بالعلم ، فقيادة الدولة التي لا تعتمد على قيادة العلم لها ، قد تؤدي بالدولة الى التاخر ، والضياع ، والتيه ، وربما الى السقوط .

٢ ـ ان العلم والعمل قرينان ، فمن علم عمل ، وفي اي مجال ، سواء فيما يرتبط بالعبادات ، او فيما يرتبط بالعلوم الاخرى ، اذ لا فائدة في علم بلا علم .

فما جدوى فقه الفقيه اذا لم يحوله الى عمل ، وما فائدة النظريات التي يتوصل اليها عالم ، او مكتشف اذا لم يحولها الى عمل ايضا .

ان العلم الصحيح بلا عمل يمكن ان نطلق عليه حكمة نظرية . وما فائدة الحكمة النظرية اذا لم تترجم الى حكمة عملية ، ومن ثم الى عمل مثمر ؟

ومن اخـطر الاوبئـة الاجتمـاعيـة التي ابتليت بهـا الامم ـ ومنهـا الأمـة الإسـلامية ـ وبـاء فصل العلم ـ وبـالخصوص العلوم الـدينية الشـرعيـة ـ عن العمـل ، وتحول العلم الى مجـرد نظريـات ، ومعلومات ، بعيـدة عن واقـع الفعل ، والتطبيق .

بينما القاعدة الإسلامية تنص ، وتؤكد على ان العلم في هتاف ، ونداء دائمين للعمل ، وكانهما توأمان لا يفترقان . فاذا ما اجاب العمـل ، العلم ، صلحت الامة ، وتقدمت ، وتطورت ، والا فارتحل العلم عن العمل ، وسافر

عنه ، واصبح بلا جدوى ، ولا فائدة ، اذا ما قيمة الانسان وهو يمتلك النظريات ، والحقائق ، والمعلومات ، دون ان يستفيد منها في مجال الواقع ؟!

وقضية قران العمل بالعلم ، ليس مطالبا بها ـ فقط ـ طلاب العلوم الدينية ، والمتضلعون ، والمتبحرون في العلم ، وانما مطالب بها كل انسان يعرف قليلا ، او كثيرا من العلم ، بما لكلمة العلم من معنى ، ولا شك ان المتضلع في العلم مسؤوليته اكبر ، لانه يمتلك رصيدا اكبر منه . والعمل بالعلم يشمل الالتزام الفردي ، والمساهمة الفعالة في التغيير الاجتماعي .

يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾[1] .

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يمقت أشد المقت ، ذلك الإنسان الذي يعلم ، ولا يعمل ، ويقول ، ولا يفعل

والعمل بالعلم ينطبق على العلوم الدينية الشرعية ، والاحكام ، والقوانين الإسلامية بالدرجة الاولى ، كما ينطبق على العلوم الحياتية الاخرى ايضا فاذا لم يعمل العلماء في حقول العلم المختلفة بما توصلوا اليه ، لن تستفيد الانسانية شيئا ، ولما تقدمت ، وتطورت ، وقد تصبح العلوم في غياب العمل بها مجرد ترف علمي ، ليس الا .

الا اننا نركز هنا على العمل بالعلوم الدينية الشرعية ، باعتبارها الام للعلوم الاخرى ، وباعتبارها المحرك للمجتمعات ، فاذا ابتعد الانسان فيها عن العمل بها ، فماذا نتوقع من المجتمعات ، غير الالحاد ، او الكفر ، او التحرر من الدين ، او الجمود والركون ، وسيطرة الطغاة ، والمستكبرين على مقاليد الامور ؟!

---

(١) سورة الصفّ ، الآية : ٢ ـ ٣ .

وبعبارة اخرى : ماذا نتوقع من المجتمعات ـ في غياب الالتزام بالعلوم الدينية ـ غير حدوث أزمة الأخلاق وسيطرة انظمة الظلم والطغيان ؟

ولو تأمل المتأمل في آيات القرآن الحكيم ، لرأى انها تقرن العمل بالعلم دائما ، ويأتي العلم في صورة الايمان في كثير من الاحيان باعتباره علماً او يقيناً . ومن الأمثلة على ذلك ما يلي : ـ

يقول تعالى :

﴿والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر﴾[1] .

﴿ان الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾[2] .

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ، وحسن مآب﴾[3] .

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾[4] .

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم﴾[5] .

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾[6] .

---

(١) سورة العصر ، الآية : ١ ـ ٣ .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٧ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ٢٩ .
(٤) سورة لقمان ، الآية : ٨ .
(٥) سورة النور ، الآية : ٥٥ .
(٦) سورة البينة ، الآية : ٧ .

﴿فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾[1] .

ويقول الإمام علي (ع) : « الايمان والعمل اخوان توأمان ، ورفيقان لا يفترقان ، لا يقبل الله احدهما الّا بصاحبه »[2] .

علاقة الحكمة بالعمل :

قد علمت مسبقا ان الحكمة تعرف بالعلم (الصحيح من العلم) ، وان العلم ثمرة الحكمة . وعليه فان العمل يجب ان يكون تحت امامة الحكمة ، ومقرونا بها ، لان العمل بلا حكمة يهدم اكثر مما يبني .

فاذا أردت أن تصبح عالماً حكيماً ، حريّ بك ان تستجيب لهذا النداء الايماني : العمل! العمل! بالعلم وتحت امامته .

علماء الدين بين العلم ، والعمل .

اوحى الله الى بعض انبيائه :

« قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا لغير الاخرة ، يلبسون للناس مسوك الكباش ، وقلوبهم كقلوب الذئاب ، السنتهم احلى من العسل ، واعمالهم امرّ من الصبر : اياي تخادعون ، وبي تستهزئون ، لأتيحنّ لكم فتنة تذر الحليم حيراناً »[3] .

بلا ترديد ، ان قرن العلم بالعمل لا يجب على فئة دون فئة ، ولا يقتصر على طبقة دون اخرى . فالكل مطالب بالعمل ، وتؤكد هذا الامر كلمة الإمام علي (ع) : « من علم عمل » . كما ان العمل بالعلم لا ينحصر فقط في

---

(١) سورة الجاثية ، الآية ٣٠ .

(٢) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٢٥ .

(٣) ميزان الحكمة - ج٦ - ص٤٧٩ كلمة الله - ص١٦٢ .

اصحاب العلم الكثير . فكما ان الفقيه مطالب بالعمل بعلمه . كذلك فان اي مؤمن مطالب بالعمل بما يعلم ايضا .

ومشكلة عدم العمل بالعلم قد يبتلي بها اي انسان بصرف النظر عن طبقته ، وهذه المشكلة قد توجد في صفوف العلماء بصورة اكبر .

وان من اخطر الامراض التي اصيبت بها الحوزات العلمية ، مرض الفصل بين العلم ، والعمل ، واتخاذ العلم مبررا للتقاعس ، والهروب من تحمل المسؤوليات الدينية الرسالية .

فهناك من طلاب العلوم الدينية ، من يصرف العقود الزمنية من عمره ، بين غرف الحوزات العلمية ، واروقتها ، ويا ليتهم يسعون لنيل درجة الاجتهاد ، ولكنهم اعتادوا على الدراسة في الحوزة ، فاصبح العلم هدفهم وعادة وتقليدا فيهم ، وديدنهم ، وكل همهم ، بينما على صعيد العمل لرسالتهم ، تجدهم ظروفا جوفاء ، وليس لهم اي رصيد منه ، واربما انمسخت كلمة (العمل) من قاموسهم .

وهذا ما يريده الاستكبار ، والامبريالية ، واعداء الإسلام عموما ، للحوزات ان تكون ، ولطلبة العلومّ الدينية ان يكونوا .

وحينما تسأل الواحد منهم :

ماذا قدمت لامتك ، ورسالتك ؟

اجاب : انني لا زلت في طور الدراسة ، والتحصيل العلمي .

* * *

يقول احد العلماء العاملين :

التقيت مرة طالباً من طلاب العلوم الدينية ، وسألته : ماذا قدمت لامتك ، ورسالتك من خدمة ، وعمل ، فاجاب : ان بلدي يحتاج في المستقبل الى رئيس الديوان العالي للقضاء ، وانا الآن ادرس لكي اكون ذلك الرئيس . فقلت له : اي مجنون ذلك الذي يعمل ، وينتصر ، ثم يأتي بك على رأس هذا المنصب ؟!

* * *

ولا يعني هذا ـ ابدا ـ ان الدراسة الحوزوية ليست مطلوبة ، بل العكس تماماً ، وسبق ان بينا ان العلوم الدينية الشرعية هي الاساس والاصل ، وهي الام لكل العلوم . وانما المعني ان طالب الحوزة يجب ان لا يكون ـ باي شكل من الاشكال ـ منفصلاً عن دائرة العمل اثناء فترة دراسته ، بل عليه ان يعيش روحية العمل ، ولو بالحد الادنى منه . اي ان يضمن مسيرته العلمية رصيدا من العمل في سبيل امته ، ورسالته ـ ولو كان قليلاً ـ لكي لا يصاب بمرض الفصل بين العلم ، والعمل .

يقول الرسول الاعظم (ص) :

«ألا وان العالم من يعمل بالعلم وان كان قليل العمل »[1] .

والمطلوب من الجامعات الدينية ، والحوزات العلمية ان تعمل على تخريج علماء عاملين ، وهذا لا يتم الا بالتوجيه والتعليم خلال فترة الدراسة لضرورة قرن العلم بالعمل ، بالاضافة الى ذلك ادخال الطالب في غمار ممارسة العمل بما تعلمه .

والمطلوب كذلك من طالب الحوزة ان يعيش آلام الناس ، وقضاياهم ،

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٥٠٥ .

وخصوصا قضاياهم المصيرية ، وان يكون سياسياً واعياً ، ومتصدياً ـ او على الاقل ـ مشاركاً في عملية التغيير الاجتماعي ، لا ان يكتفي بارتداء العمامة والجبة ، ـ مع ان (العالم) يشمل من يرتدي هذا الزيّ ، وغيره ـ ويترك الحبل على الغارب ، ويتحول الى عالم ديكور ، واناقة ، او الى عالم كلام منطقي منمق .

يقول الإمام علي (ع) :

« يا حملة القرآن ! اعملوا به ، فان العالم من علم ثم عمل بما علم ، ووافق عمله علمه »[1] .

ويقول كميل ابن زياد النخعي (رض) :

« اخذ بيدي امير المؤمنين ، علي بن ابي طالب ، عليه السلام ، فأخرجني الى الجبال ، فلمّا اصحر ، تنفس الصعداء ، ثم قال :

« يا كميل بن زياد !

ان هذه القلوب اوعية فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما اقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع ، اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا الى ركن وثيق .

يا كميل !

العلم خير من المال . العلم يحرسك ، وانت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٥٠٥ .

يا كميل بن زياد !

معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الانسان الطاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته . والعلم حاكم ، والمال محكوم .

يا كميل !

هلك خزان الاموال ، وهم احياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر : اعيانهم مفقودة ، وامثالهم في القلوب موجودة ، ها ان هاهنا لعلماً جمّاً (واشار الى صدره) ، لو اصبت له حملة ! بلى اصبت لقناً غير مأمون عليه ، مستعملاً آلة الدين للدنيا ، مستظهرا بنعم الله على عباده ، وبحججه على اوليائه ، او منقاداً لحملة الحق ، لا بصيرة له في احنائه ، ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة ، الا لا ذا ، ولا ذاك ! او منهوما باللذة ، سلس القيادة للشهوة ، او مغرماً بالجمع ، والادخار ، ليسا من دعاة الدين في شيء ، اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اللهم بلى ! لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ؛ اما ظاهراً مشهوراً ، واما خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله ، وبيناته ، وكم ذا ، واين أولئك ، والله الاقلون عددا ، والاعظمون عند الله قدرا . يحفظ الله بهم حججه ، ، وبيناته ، حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب اشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استعوره المترفون ، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان ، ارواحها معلقة بالمحل الاعلى ، اولئك خلفاء الله في ارضه ، والدعاة الى دينه . آه آه شوقاً الى رؤيتهم ! انصرف يا كميل اذا شئت[1] .

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٤٩٥ ـ ٤٩٧ .

ويقول ـ تعالى ـ في حديث قدسي :

« ان ادنى ما انا صانع بعبد غير عامل بعلمي ـ من سبعين عقوبة باطنية ـ ان انزع من قلبه حلاوة ذكري »[1] .

وكما ان المطلوب من طالب العلوم الدينية ان يعمل ـ ولو قليلاً ـ اثناء فترة دراسته ، فانه مطالب بالعمل في سبيل دينه ورسالته بعد انهائه فترة الدراسة . بل ان أي انسان مؤمن هو مطالب بالعمل بما يعلم .

علماء السوء :

من هم علماء السوء ؟

هم اولئك العلماء الذين ابتعدوا عن الحكمة الحقيقية ، ووضعوا علمهم ، وحكمتهم في غير موضعها ، وجعلوا دينهم آلة للدنيا ، واصبحوا ابواقاً ، وخداماً ، ووسائط لاعطاء الشرعية للامراء ، والملوك ، والسلاطين يعيشون على حساب المظلومين ، والمعذبين ، والمستضعفين ، ويكيفون الدين حسبما يريده السلطان ، وهمهم ، التمتع بحطام الدنيا ، وملذاتها . وهم الذين يمدحون الحكام ، ويباركون لهم اعياد جلوسهم ، او الاعياد (الوطنية) كما يسمونها ، ومنهم من يوؤل الآيات القرانية فيهم ، او ينشد الشعر مدحاً فيهم !

اوحي الله تعالى الى داود (ع) :

« لا تجعل بيني ، وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا ، فيصدك عن طريق محبتي ، فان اولئك قطاع طريق عبادي المؤمنين ، ان ادنى ما انا صانع بهم ،

---

(١) كلمة الله ـ ص١٦٠ .

ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم »[1] .

ان السلطات السياسية الظالمة ـ في عصرنا اليوم كما هي في الماضي ـ تستفيد من هذه النوعية من العلماء ، وتستخدمهم في اغراضها السياسية ، فيقوم هؤلاء العلماء المتزلفون بمدح الحاكم ، ومباركة خطواته حتى ولو كانت ضد الدين ، مقابل شيء من الحطام .

* * *

في عام ١٩٨٠ قام الرئيس المصري محمد أنور السادات بمبادرته الاستسلامية للقدس ، والتي ترتبت عليها اتفاقيات كامب ديڤيد ، فما كان من شيخ الازهر آنذاك الا ان بارك هذه المبادرة ، واستشهد ـ في حق السادات ـ بالآية الكريمة :

﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله﴾[2] معطياً بذلك ، الشرعية له في القيام بالمبادرة الاستسلامية .

وهكذا يقوم علماء البلاط بتبرير خطوات الحكام غير القانونية ، غير الشرعية ، واضفاء القدسية ، والشرعية عليها !

يقول الرسول الاعظم (ص) :

« العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ، ويداخلوا الدنيا ، فإذا خالطوا وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم ! » .

* * *

والان اذا كنت ، او اردت ان تكون عالماً حقيقياً ، حكيماً ، فمن سواء كنت فرداً عادياً ، او طالباً في حوزة علمية ، او تلميذاً في جامعة ، او مكتشفاً ، او مخترعاً ، او غير ذلك فمن واجبك الالتزام بمجموعة من القواعد الهامة ،

---

(١) كلمة الله ـ ص١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٦١ .

منها ما يلي :

١ ـ تخلق بالاخلاق الاسلامية ، لانه لا فائدة في علم لا يقوم على الاخلاق ، ولا يقود اليها .

٢ ـ لتقرن العلم بالعمل ، لان الاول يهتف بالاخر ، فان اجابه الاخر ، والا ارتحل الاول ، وما احوج الاجتماع ، الى العلم والعمل معا !

٣ ـ تعلم العلم ، وعلمه لغيرك ، فلا فائدة في علم مسجون بين الاضلع .

٤ ـ تذاكر العلم النافع مع غيرك ، لان التذاكر يلقح العقل ، ويحقق التقدم العلمي .

٥ ـ عظم العلماء الحقيقيين ، واعرف فضلهم .

٦ ـ خالط العلماء الحكماء ، وجالسهم ، واقتد بهم .

٧ ـ لا تغتر بعلمك ، ولا تعجب ، فان الغرور ، والعجب من آفات العلم المدمرة .

٨ ـ لا تضيع العلم الذي حملته ، وافد به ومنه .

٩ ـ حذار من ان تكون من علماء السوء ، او وعاظ السلاطين !

١٠ ـ ليكن علمك قائداً لك الى الله ، في اي حقل علمي كنت .

١١ ـ تفقه في دينك .

١٢ ـ تسلّح بالوعي واستخدام العقل في حياتك .

احاديث شريفة في العلم والعلماء

« العلم مصباح العقل »[1] . (الإمام علي) .

« قلب ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب ، فتعلموا ، وعلموا ، وتفقهوا ، ولا تموتوا جهّالاً ، فان الله لا يعذر على الجهل »[2] . (الرسول الاعظم) .

« العلم قائد الحلم »[3] . (الإمام علي) .

« العلم رأس الخير كلّه ، والجهل رأس الشر كلّه »[4] . (الرسول الاعظم) .

« العلم حياة »[5] . (الإمام علي) .

« الكلمة من الحكمة يسمعها الرجل فيقول او يعمل بها خير من عبادة سنة »[6] (الإمام علي) .

« فضل العلم احب الى الله من فضل العبادة »[7] . (الرسول الاعظم) .

« العلم اول دليل ، والمعرفة آخر نهاية »[8] . (الإمام علي) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٤٨ .
(٢) كنز العمال ـ خطبة ٢٨٧٥٠ .
(٣) ميزان الحكمة ـ ج٦ ص٤٤٩ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٥١ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٥٢ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٥٩ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٥٨ .
(٨) المصدر السابق ـ ص١٣٠ .

« العلم لقاح المعرفة »[1] . (الإمام علي) .

« لقاح العلم التصور والفهم »[2] (الإمام علي) .

« افضل الحكمة معرفة الانسان نفسه »[3] . (الإمام علي) .

« افضل المعرفة معرفة الانسان نفسه » .[4] (الإمام علي) .

« من عرف نفسه فقد عرف ربه »[5] . (الإمام علي) .

« معرفة الله سبحانه اعلى المعارف »[6] . (الإمام علي) .

« من عرف الله كملت معرفته »[7] . (الإمام علي) .

« ثمرة العلم معرفة الله »[8] . (الإمام علي) .

« العلم علمان : علم على اللسان فذلك حجة على ابن آدم ، وعلم في القلب فذلك العلم النافع »[9] .

« من عرف نفسه كان لغيره اعرف »[10] . (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٣٣ .
(٢) المصدر السابق ـ ص١٣٣ .
(٣) المصدر السابق ـ ص١٤٠ .
(٤) المصدر السابق ـ ص١٤٠ .
(٥) المصدر السابق ـ ص١٤٢ .
(٦) المصدر السابق ـ ص١٥٥ .
(٧) المصدر السابق ـ ص١٥٥ .
(٨) المصدر السابق ـ ص١٥٥ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٥٢١ .
(١٠ المصدر السابق ـ ص١٤١ .

« ثمرة العلم العمل للحياة »[1] . (الإمام علي) .

« انما العلم ثلاثة : آية محكمة ، او فريضة عادلة ، او سنة قائمة ، وما خلاهن فهو فضل »[2] . (الرسول الاعظم) .

« شيئان لا تبلغ غايتهما : العلم والعقل »[3] . (الإمام علي) .

« العلم اكثر من ان يحاط به »[4] . (الإمام علي) .

« العلم علمان : علم الأديان ، وعلم الابدان »[5] . (الرسول الأعظم) .

« العلم علمان : مطبوع ومسموع ، ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع »[6] . (الإمام علي) .

« من عمل بما يعلم علمه الله ما لم يعلم »[7] . (الإمام الباقر) .

« كل علم لا يؤيده عقل ، مضلة »[8] . (الإمام علي) .

« تفقهوا في الحلال والحرام والا فانتم أعراب »[9] . (الإمام الباقر) .

« لا يدرك العلم براحة الجسم »[10] . (الإمام علي) .

---

(١) ميزان الحكمة - ج٦ - ص٤٩٩ .
(٢) اصول الكافي - ج١ - ص٣٢ .
(٣) ميزان الحكمة - ج٦ - ص٥٢٧ .
(٤) المصدر السابق - ص٥٢٧ .
(٥) المصدر السابق - ص٥٢٧ .
(٦) المصدر السابق - ص٥٢٧ .
(٧) المصدر السابق - ص٥٣٣ .
(٨) المصدر السابق - ص٥٣٠ .
(٩) المصدر السابق - ص٥٣١ .
(١٠) المصدر السابق - ص٥٣٥ .

« جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله! ما حق العلم ؟ قال : الانصات له ، قال : ثم مه ؟ قال : الاستماع له ، قال : ثم مه ؟ قال : الحفظ له ، قال : ثم مه ؟ قال : العمل به ، قال : ثم مه ؟ قال : نشره »[1] . (الإمام الباقر) .

« اقرب الناس من درجة النبّوة اهل العلم والجهاد »[2] . (الرسول الاعظم) .

« العلماء ورثة الانبياء »[3] . (الرسول الاعظم) .

« العالم حيّ وان كان ميّتا ، الجاهل ميّت وان كان حياً »[4] . (الإمام علي) .

« موت العالم ثلمة في الإسلام ، لا تسدّ ما اختلف الليل والنهار »[5] . (الرسول الاعظم) .

« اطلبوا العلم ، ولو بخوض اللجج وشق المهج »[6] . (الإمام الصادق) .

« منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا »[7] . (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٨٦ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٥٦ .
(٣) اصول الكافي ـ ج١ ـ ص٣٢ .
(٤) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٥٨ .
(٥) كنز العمال ـ خطبة ٢٨٧٦١ .
(٦) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٦٣ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٦٤ .

« من علم ، وعمل ، وعلّم عدّ في الملكوت الاعظم عظيماً »[1] (السيد المسيح) .

« من علّم خيراً فله بمثل اجر من عمل به »[2] . (الإمام الصادق) .

« علّم الناس علمك ، وتعلّم علم غيرك ، فتكون قد اتقنت علمك ، وعلمت ما لم تعلم »[3] . (الإمام الحسن) .

« من كتم علماً نافعاً عنده ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »[4] (الرسول الاعظم) .

« ويل لامتي من علماء السوء يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من امراء زمانهم ربحاً لأنفسهم ، لا أربح الله تجارتهم »[5] . (الرسول الاعظم) .

« من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذلّ الجهل أبدا »[6] . (الرسول الاعظم) .

« كان فيما وعظ لقمان ابنه ، انه قال : يا بني اجعل في أيامك ولياليك نصيباً لك في طلب العلم ، فانك لن تجد تضييعاً مثل تركه »[7] . (الإمام الصادق) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٦٩ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٧٠ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٧١ .
(٤) كنز العمال ـ خطبة ٢٩١٤٢ .
(٥) المصدر السابق ـ خطبة ٢٩٠٨٤ .
(٦) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٧٦ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٧٧ .

« من تعلم العلم لغير الله فليتبوأ مقعده من نار »[1] . (الرسول الاعظم) .

« من تعلم العلم لغير العمل فهو كالمستهزىء بربه عزَّ وجلَّ »[2] . (الرسول الاعظم) .

« خذوا من العلم ما بدا لكم ، واياكم إن تطلبوه لخصال أربع : لتباهوا به العلماء ، او تماروا به السفهاء ، او تراؤوا به في المجالس ، او تصرفوا وجوه الناس اليكم للمترؤس . . . »[3] . (الإمام علي) .

« العلماء ثلاثة : رجل عاش به الناس وعاش بعلمه ، ورجل عاش به الناس واهلك نفسه ، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به احد غيره »[4] . (الرسول الاعظم) .

« من وصية ذي القرنين : لا تتعلم العلم ممن لم ينتفع به فان من لم ينفعه علمه لا ينفعك »[5] .

« خذ الحكمة ممن اتاك بها ، وانظر الى ما قال ، ولا تنظر الى من قال »[6] . (الإمام علي) .

« ليّنوا لمن تعلمون ، ولمن تتعلمون منه »[7] . (الرسول الأعظم) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٧٩ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٧٩ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٨٠ .
(٤) كنز العمال ـ خطبة ٢٨٩٤١ .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٨٤ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٨٥ .
(٧) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤٨٧ .

« اذا جلست الى عالم فكن على ان تسمع احرص منك على ان تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على احد حديثه »[1] . (الإمام الباقر) .

« من وقّر عالماً فقد وقّر ربه »[2] . (الإمام علي) .

« على المتعلم ان يدأب نفسه في طلب العلم ، ولا يمل من تعلمه ، ولا ليستكثر ما علم »[3] . (الإمام علي) .

« قال لقمان لابنه : للعالم ثلاث علامات : العلم بالله ، وبما يحب ، وما يكره »[4] . (الإمام الصادق) .

« العالم من عرف قدره ، وكفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره »[5] . (الإمام علي) .

« الخشية ميراث ، والعلم شعاع المعرفة وقلب الايمان ، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وان شق الشعر في متشابهات العلم ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿**انما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[6] . (الإمام الصادق) .

« رب جهل انفع من علم »[7] . (الإمام علي) .

« اعقلوا الخير اذا رأيتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فان رواة العلم كثير

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٨٨ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٨٩ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩٠ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩٦ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٥٠٠ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٥٠٠ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٥٠٧ .

ورعاته قليل »[1] . (الإمام علي) .

« زلّة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق »[2] . (الإمام علي) .

« من ازداد علماً ولم يزدد هدى ، لم يزدد من الله الاّ بعدا »[3] . (الرسول الاعظم) .

« سئل امير المؤمنين عليه السلام عن اعلم الناس ؟ قال : من جمع علم الناس الى علمه »[4] . (الإمام الصادق) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٥١١ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٥١٧ .

(٣) المصدر السابق ـ ص٥١٩ .

(٤) المصدر السابق ـ ص٥٣٣ .

بين الأخلاق ، والحكمة

تعريف :

يقول الله ـ تعالى في وصفه لنبيه الكريم (ص) :

﴿وانك لعلى خاق عظيم﴾[1] .

أصل كلمة الأخلاق من الفعل خَلُقَ ، أي لان ، وملس ، واستوى ، ومن خالق ، أي عاشر بخلق حسن ، ومر تخلق ، أي تطبع بطباع .

ومفرد الأخلاق ، الخُلْق ، والخُلُق ، وهو المروءة ، والعادة ، والسجية ، والطبع ، والتقليد . فالأخلاق هي المروءات ، والعادات ، والسجايا ، والطباع ، والتقاليد . وتعرف الأخلاق بأنها القواعد العملية لتنظيم وتهذيب السلوك الانساني . وعلم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الأخلاق نفسها ، وهو أحد اقسام الحكمة العملية ، ويسمونه أيضا الحكمة الخلقية ، هذا حسب التقسيمة القائلة بأن الحكمة قسمان : نظرية ، وعملية ، واحد فروع العملية ، علم الأخلاق الذي يشتمل على الفضائل الأربع وهي : الحكمة ، والعفة ،

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

والشجاعة ، والعدل .

أمّهات الأخلاق .

هناك من يرى أن في باطن الانسان أربعة أركان ، لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق ، كما حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف ، والفم والخد ، بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر ، فاذا استوت الاركان الاربعة ، واعتدلت ، وتناسبت ، حصل حسن الخلق ، وهي :

- قوة العلم .
- وقوة الغضب .
- وقوة الشهوة .
- وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث .

وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة ، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة . فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهوّراً ، وان مالت الى الضعف والنقصان سمّي ذلك جبناً وخوراً . وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها ، وان مالت الى النقصان سمي خموداً ، والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة ، والطرفان رذيلتان مذمومتان . والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان ، بل له ضد واحد وهو الجور .

وأما الحكمة فيسمى الافراط فيها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبّاً وجربزة (أي الخبل والخداع والاضطراب) ، ويسمى التفريط فيها جهلاً وبلهاً ، والوسط هو الذي يختص باسم « الحكمة » .

وعلى ذلك فأمهات الأخلاق ، وأصولها اربعة ، وهي :

ـ الحكمة .

والشجاعة .

ـ والعفة .

ـ والعدل .

ومن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها .

يقول الإمام علي (ع) :

«الفضائل أربعة أجناس :

احدها : الحكمة ، وقوامها في الفكرة .

والثاني : العفة ، وقوامها في الشهوة .

والثالث : القوة ، وقوامها في الغضب .

والرابع : العدل ، وقوامها في اعتدال قوى النفس »[1] .

ويقول الإمام العسكري (ع) :

« ان للسخاء مقداراً فان زاد فهو سرف ، وللحزم مقداراً فان زاد فهو جبن ، وللاقتصاد مقداراً فان زاد عليه فهو بخل ، وللشجاعة مقداراً فان زاد عليه فهو تهوّر »[2] .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١٤٤ .

العلاقة بين الأخلاق ، والحكمة :

مما تقدم تبين أن من تعاريف الحكمة ، العقل . والعقل من طبيعته أنه يدعو الى الأخلاق ـ ما لم يُحرف مساره الطبيعي ـ ومن هنا ومن كانت الأخلاق نتيجة ، وثمرة من ثمرات العقل ، وبالتالي ثمرة من ثمرات الحكمة .

ولنضرب لذلك مثالاً عملياً بالانفاق على الزوجة . فمعرفة أن الانفاق على الزوجة واجب ، وحسن ، هو الحكمة النظرية ، أو المعرفة العقلية ، وهو معرفة وضع الشيء وهو الانفاق ، في موضعه ، اي على الزوجة وممارسة الانفاق على الزوجة ، عملياً ـ وهو خلق حسن ـ جاء نتيجة معرفة وضع الشيء في موضعه ، أي معرفة أن الانفاق على الزوجة ، واجب وحسن ، بحيث اننا لو لم نعلم بأن الانفاق على الزوجة هو وضع للشيء في موضعه ، لما تمّ الانفاق على الزوجة عملياً . وبذلك كان الانفاق على الزوجة الذي هو واجب ، وخلق حسن في نفس الوقت ، أثراً ، وثمرة ترتبت على الحكمة ، ومن هنا يمكننا القول أن الأخلاق تأتي نتيجة الحكمة العقلية ، وثمرة لها ، مع ملاحظة ان الحكمة العقلية لا تتناقض مع الدين والشرع ، فان تناقضت فهي ليست حكمة .

ومثال آخر :

نعلم أن احترام الزوجة خلق حسن ، وأساس هذا الخلق الحسن هو الادراك العقلي لحقيقة هذا الخلق ، وهو علمنا بأن احترام الزوجة هو وضع للشيء في موضعه (الحكمة النظرية) ، فعليه كان احترام الزوجة عملياً وتطبيقيا كخلق حسن ، وطبع محمود ، اثرا وثمرة ترتبت على الحكمة .

الأخلاق ، بين اللين ، والشدة .

ما هو اللين ؟

وما هي الشدة ؟

ومع من اللين ؟

ومع من الشدّة ؟

اللين هو الرفق ، والليونة ، والرحمة . والشدة هي القوة ، والخشونة ، والعنف .

والإسلام الحنيف أمر الانسان بأن يتخلق باللين ، والرفق والرحمة والذلة مع أهله ، واخوانه ، وأصدقائه ، وزملائه ، ومع كل المسالمين له ولدينه ، ورسالته . كما أنه أمره بأن يتخلق بالعنف ، والخشونة ، والشدة ، والقوة ، في التعامل مع أعداء دينه ورسالته ، من الكافرين ، والمنافقين ، والطغاة ، والظالمين ، والمستكبرين .

ومن الناس من يتصور بأن الإسلام لا يؤمن بالعنف ـ في موضعه ـ ، وبالمواجهة . والمقاومة ، فهو ـ حسب رأيهم ـ دين اللين ، والرفق والسلم حتى مع الطغاة الظالمين . ولما رأى الحكام الطغاة الظلمة أن هذه الفكرة تخدمهم ، وتطيل بقاءهم على رأس السلطة لجأوا الى البطش ، والتنكيل ، والقمع حين حدوث اي معارضة ، أو مقاومة شعبية مدعين بأن هذا خلاف الإسلام ، حيث لا سياسة في الإسلام في نظرهم . ومن هنا انبثقت فكرة الفصل بين الدين والسياسة ، التي يرفضها الإسلام جملة ، وتفصيلاً . وفي واقعنا المعاصر أمثلة حية على هذه الفكرة . فالحكام الطغاة المتسلطون على الشعوب الإسلامية ، ما أن يشعروا بانتفاضة ، أو مقاومة شعبية ـ جوهرها الإسلام ـ ضدهم ، سمعت اذاعاتهم ، ورأيت صحفهم ومجلاتهم ، وكل وسائلهم الاعلامية ، تجترّ هذه العبارة : (الدين شيء ، والسياسة شيء آخر ، ولا علاقة للدين بالسياسة) ، ورأيت لغة القمع ، والارهاب هي اللغة الحاكمة والمستخدمة .

* * *

وكمثال على ذلك : في يناير ١٩٧٧ حدثت انتفاضة شعبية كبرى في مصر ، على أثر رفع السلطة لأسعار الخبز ـ كسبب جزئي أعلنته حكومة السادات ـ وخرجت التظاهرات الشعبية الكبرى في مدينة القاهرة ، وكان للاسلاميين والجماعات الإسلامية الدور الكبير فيها . فقام النظام بفرض الأحكام العرفية ، واعلن حظر التجول ، وانزل الدبابات ، والمصفحات في الشوارع ، والميادين . وفي حديث للسادات ، نقل بالراديو ، والتلفزيون وفي كل وسائل الاعلام المصرية ، قال فيه : ان ما حدث هو انتفاضة حرامية ، وليس انتفاضة شعبية وان الدين شيء ، والسياسة شيء آخر ، فمن أراد الدين والعبادات ، فليذهب الى المساجد ، ومن اراد السياسة ، فليتعاطاها من خلال منبر رسمي ، يريد تحت اشراف سلطته ، وهيمنتها .

* * *

صحيح أن الإسلام هو دين اللين ، والرفق والرحمة ، ويرفق حتى بأعدائه ، ولكن اذا عرّضت مبادؤه للاستهزاء ، او الخرق ، او التزييف ، هل يصح ان يقدم باقة ورد لمن يستهزىء به ، ويخرقه ، ويزيف مبادءه ؟!

كلا !

انه هنا يعتبر العنف ، والشدة ، والقوة ـ ودون مبالغة في استخدامها ـ هي الوسيلة الموضوعية لردّ من يستخف به ، ويتستر وراءه ، ويحاول تزييفه ، وتحريفه .

يقول الإمام علي (ع) :

« من أحد سنان الغضب لله ، قوي على قتل اشداء الباطل »[1] .

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٥٠١ .

ولقد اوضح لنا القرآن الحكيم ، القاعدة الاسلامية ، لتعامل الانسان مع اخوته المؤمنين ، ومع الكفار والمنافقين ، والطغاة والظلمة ، والمستكبرين ، فقال تعالى :

﴿محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركّعاً سجّداً ، يبتغون فضلا من الله ، ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه ، فآزره فاستغلظ ، فاستوى على سوقه ، يعجب الزُّرّاع ، ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات منهم مغفرة ، وأجراً عظيما﴾[1] .

ويقول ـ تعالى ـ ايضا :

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسعٌ عليم﴾[2] .

ومما يلاحظه المتأمل في الآية الكريمة الأولى ، ان الشدة على الكافرين ، تقدمت عن الرحمة بين المؤمنين ، مما يبرز أهمية جانب الشدة ، او القوة في انتصار الاسلام على الكفر ، وعودة الأخلاق ، والمبادىء والقيم الى ميدان الاجتماع . فضلا عن ان اللين ، والرفق ، والرحمة ، والتسامح فيما بين المؤمنين ، قاعدة رئيسية ، مطلوبة قبل كل شيء للتعامل فيما بينهم ، والاّ لا قيمة للعنف ، والكفاح والدفاع اذا لم تقام على أساس التآخي ، والتراحم ،

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

والرفق واللين بين المؤمنين .

يقول الشاعر :

لا يغرّنّك انني ليّن المسّ فعزمي اذا انتضيت حسام
أنا كالورد ، فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين حمام

ان المؤمنين فيما بينهم يجب ان يكونوا أذلة ، لكنهم في مقابل الكافرين ، والمستكبرين ، والطغاة ، يجب أن يكونوا أعزاء ، أشداء ، أقوياء ، لأن القوة والشدة ـ ضد الكافرين ، والطغاة الظالمين ـ كدفاع عن الاسلام وقيمه ومبادئه وجوهره ـ واجبة من جهة ، ومن جهة اخرى انها الوسيلة الموضعية للحفاظ على الوجود الاسلامي ، والدفاع ، ورد العدوان عنه .

وللقوة دور كبير في الدفاع عن الإسلام وفي تبليغ رسالته الإسلامية ، لاسيما في ظل الواقع الذي يتسلط عليه حكام ظلمة ، لم يستنيروا بنور القرآن ، بل يحاربونه وباسمه . فهم مسلمون ، ولكن بالإسم فقط ، أما عن سياستهم ، وبرامجهم ، والاجواء التي يشيعونها في البلاد ، فحدّث ولا حرج ، فهي تناقض الإسلام ، وتسيء اليه ، وتهينه ، بما للتناقض ، والاساءة ، والاهانة من معنى .

والجهاد في الإسلام ـ بمعنى القتال ـ يمثل أحد جوانب القوة الرئيسية فيه ، وهو نوعان :

الأول : الجهاد من أجل الدعوة الى الإسلام ، ونشر رسالته . وهو ابتدائي ، وذلك بأن يجيش المسلمون الجيوش لمحاربة الكفار . وهو يجب على المسلمين مرة واحدة في كل عام ، مع التمكن على رأي مشهور الفقهاء ، وان كان الأقوى ، وجوبه دائما حسب التمكن .

والثاني : الدفاع عن الإسلام ، وقيمه ومبادئه ، وعن المسلمين ، وبلادهم ، وأعراضهم ، وأموالهم وعن الحق اطلاقا .

وللجهاد من أجل الدعوة الى الإسلام شروط يجب أن تتوفر للانسان المقاتل ، وهي :

١ ـ البلوغ .

٢ ـ العقل .

٣ ـ الحرية .

٤ ـ الذكورة . ولو احتاج الأمر الى النساء وجب .

٥ ـ السلامة من الضرر ، الذي يعيقه من الجهاد ، كالعمى ، والعرج .

٦ ـ أن لا يكون شيخاً .

٧ ـ ان تكوُن عنده اسلحة للقتال ، فلا يجوز الجهاد على الفقير الذي لا يمكنه شراء السلاح واقتناؤه .

٨ ـ وجود النفقة للانسان ، ولعياله مدة غيابه عنهم ، في المعركة .

٩ ـ اذن الإمام ، أو نائبه الخاص[١] الذي نصّ عليه ، واسماه بالذات أو نائبه العام[٢] . وهذا النوع من الجهاد يجب وجوباً كفائيا لا عينياً ، أي اذا قام به

---

(١) النائب الخاص ، هو ذلك الانسان الذي يعينه الإمام المعصوم من أئمة أهل البيت (ع) الاثنا عشر بنفسه . ولقد عين الإمام الحجة (عج) ـ وهو الإمام الثاني عشر ـ في عهد الغيبة الصغرى التي امتدت سبعين عاماً ، عيّن له خمسة نواب خاصين .

(٢) النائب العام . هو الإمام العام الذي لم يعينه تعييناً خاصاً ، وهو كل فقيه مجتهد جامع للشرائط في عصر الغيبة الكبرى ، والشرائط هي : الاجتهاد ، والعدالة ، والورع في =

قسم كاف من المسلمين ، سقط عن الآخرين منهم .

أمّا الدفاع ، أو الجهاد الدفاعي عن الإسلام ، وبلاد المسلمين ، وعن النفس ، والمال ، والعرض ، والحق اطلاقا ، على شريطة ان يكون القصد خالصاً لله تعالى ، هذا الجهاد لا يشترط فيه اذن الإمام ، ولا نائبه الخاص ، او العام ، ولا شيء من الشروط السابقة الذكر ، ويجب عيناً ، لا كفاية ـ بالنسبة الى الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين ـ على كل من كان في دفاعه أدنى نفع لصدّ العدوان عن الإسلام ، وأهله ، دون فرق بين الرجل ، والمرأة ، ولا بين الأعرج ، والصحيح ، ولا بين الأعمى ، والبصير ، ولا بين المريض والسليم[1] .

وفي وقتنا الحاضر ، حيث عهد النيابة العامة ، يعتبر الجهاد من أجل الإسلام جهاداً دفاعياً ، أو دفاعاً ، حتى لو اتخذ شكل الابتداء ، والغزو ، والتحرير . وكل ما نشاهده من أعمال اسلامية مسلحة ـ في عالمنا اليوم ـ يدخل في اطار الجهاد الدفاعي .

والجهاد دور كبير جدا في الدفاع عن الإسلام ، والمسلمين ، وفي نشر الرسالة الإسلامية . ففي صدر الاسلام وجدنا الكثير من البلاد دخلت في الإسلام عن طريق الغزو ، والفتح . وهذا الأمر يوضح لنا أن اسلوب اللين والرفق ـ والذي يتمثل في نشر الأخلاق ، والثقافة الإسلامية ـ ليس هو الأسلوب الوحيد لنشر الرسالة ، بل للقوة والجهاد ، والكفاح المسلح دور كبير في ذلك . مع العلم بأن للثقافة الإسلامية ، ونشرها دور أولي في الدعوة الى الإسلام ،

= دين الله ، وعدم الانكباب على الدنيا والحرص عليها جاهاً ومالاً ، والذكورة ، والبلوغ ، والعقل ، وطهارة المولد ، والحياة ، وان يكون شيعياً اثني عشرياً .

(١) لمعرفة التفاصيل عن الجهاد بقسميه ، راجع الرسائل العملية للفقهاء المراجع .

والقيام بالثورة الإسلامية .

نعود فنقول :

ان هناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث الشريفة ، والروايات ، تولي اهتماماً كبيراً بجانب القوة ، والقتال ، والجهاد من اجل الدعوة الى الإسلام ، ومن اجل الدفاع عنه ، وعن المسلمين ، ومنها :

يقول تعالى :

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ، ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم﴾[1] .

ويقول تعالى ـ أيضاً :

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله ، بأموالهم ، وأنفسهم ، فضَّل الله المجاهدين بأموالهم ، وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه ، ومغفرة ، ورحمة ، وكان الله غفوراً رحيماً﴾[2] .

ويقول ـ تعالى ـ أيضا :

﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٥ـ٩٦ .

الله ، وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون﴾[1] .

ويقول ـ تعالى ـ ايضا :

﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾[2] .

ويقول رسول الله (ص) :

« من ترك الجهاد ، ألبسه الله ذلاً ، وفقراً في معيشته ، ومحقاً في دينه ، ان الله ـ تبارك وتعالى ـ أعزّ أمتي بسنابك خيلها ، ومراكز رماحها »[3] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« أما بعد : فان الجهاد باب من ابواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجُنّته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه[4] البسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، ودُيِّث بالصّغار[5] ، والقماءة[6] ، وضرب على قلبه بالأسهاب[7] ، وأديل[8] الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم

---

(١) سورة الانفال ، الآية : ٦٠ .
(٢) سورة الانفال ، الآية : ٦٥ .
(٣) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص١٣٢ .
(٤) زهداً فيه .
(٥) ذلّل .
(٦) الصغار والذل .
(٧) ذهاب العقل .
(٨) صارت الدولة للحق بدله .

الخسف[1] ، ومنع النّصف[2] »[3] .

ويقول (ع) أيضا :

« الخير كله في السيف ، وتحت ظل السيف ، ولا يقيم الناس الا السيف ، والسيوف مقاليد الجنة والنار »[4] .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« من مات ، ولم يغز ، ولم يحدّث به نفسه ، مات على شعبة من نفاق »[5] .

وعن عثمان بن مظعون قال : قلت لرسول الله (ص) : ان نفسي تحدثني بالسياحة ، وأن الحق بالجبال فقال « يا عثمان! لا تفعل فان سياحة أمتي الغزو والجهاد »[6] .

ويقول (ص) أيضا :

« من جهّز غازيا بسلك أو ابرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[7] .

ومن القضايا الهامة التي ترتبط بجانب القوة ، والشدة في الأخلاق من جهة ، وبالحكمة من جهة أخرى ، ويمكن الاشارة اليها ، قضية الصحوة الإسلامية المعاصرة وانتشار الثورة الإسلامية ، التي وقف الغرب ، والشرق

---

(١) اولي الذل والمشقة .

(٢) حُرم العدل بان يسلط الله عليه من يغلبه على امره فيظلمه

(٣) نهج البلاغة ـ ص٦٩ .

(٤) ميزان الحكمة ـ ج٤ ـ ص٥٠٣ .

(٥) المصدر السابق ـ ج٢ ـ ص١٢٥ .

(٦) وسائل الشيعة ـ ج١١ ـ ص١٠ .

(٧) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص١٢٨ .

أمامها ، لمنع الإسلام المحمدي الاصيل من الانتشار ، واتساع الرقعة ، بتقويظ انظمة الظلم والطغيان الحاكمة ، ووصف جميع الأعمال التي تصب في مجال الثورة على الظلم ، والعسف ، والاضطهاد ، والاستعباد ، والتحرر من قيود تلك الانظمة ، وصفها بأنها أعمال تخريبية ، وارهابية . بينما المذابح التي تقوم بها هذه الانظمة ، وتلك التي تقوم بها الامبريالية العالمية ، وحلفاؤها في العالم ، كالمجازر التي قامت بها امريكا في الشعب الفيتنامي . والقصف الهمجي الذي قامت به حاملة الطائرات الأمريكية « نيوجرسي » للمسلمين في بيروت الغربية عام ١٩٨٢ .

ومن النقاط الرئيسية في الحكمة ، والأخلاق ، أن الأخذ ، والايمان ، والعمل بالجانب الأخلاقي الليّن في الإسلام ، وترك جانب القوة ، هوتجزيء للإسلام الذي هو كل لا يقبل التجزيء . ويبقى للظروف أثر في تحديد الوسيلة المستخدمة ، في الكفاح من أجل الإسلام ، ورسالته .

يقول تعالى :

﴿ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم اسارى تفادوهم ، وهو محرم عليكم اخراجهم ، افتؤمنون ببعض الكتاب ، وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاّ خزي في الحياة الدنيا . ويوم القيامة يردون الى أشدّ العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون﴾[1] .

ومن جهة أخرى أن جانب القوة يمثل القلعة التي تحمي الإسلام ومبادءه ، وهو عامل من عوامل البقاء والاستمرار الرئيسية للإسلام ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٥ .

والمسلمين .

ولو تأملنا تاريخ المسلمين ، لوجدنا أنه في الفترات التي كانوا يأخذون فيها بالجهاد ، ويعملون به ـ وهو عامل وخلق قوة ـ في هذه الفترات كانوا اعزاء ، اقوياء ، مرفوعي الرأس ، يخافهم ، ويهابهم الاعداء ، ويحسبون لهم ألف حساب ، بينما في الفترات التي تخلوا فيها عن الجهاد ، وركنوا الى القعود ، والجمود ، كان الاستعمار يتحكم فيهم ، ويذلهم ايّما اذلال ، ويستهين بدينهم ، وبمعتقداتهم ، ومقدساتهم ، ويبطش ، وينكل بهم أيّما بطش ، وأيّما تنكيل !

وكمثال من الواقع ، لو قارنا بين حال المسلمين في لبنان قبل انتصار الثورة الإسلامية ، وبين حالهم بعد انتصارها . لوجدنا بوناً شاسعاً . فقبل انتصار الثورة كان الجمود يضرب أطنابه ، والفساد وصل الى درجة كبيرة ، بينما بعد انتصار الثورة ، وتأثر المسلمين اللبنانيين بها ، حدثت موجة تدين قوية ، وحالة ثورية نشطة ، واستطاع المسلمون أن يلقنوا الدول الغربية ـ في لبنان ـ دروساً لن ينسوها أبداً ، فاستطاعوا أن يفجروا مركز قوات البحرية الأمريكية (المارينز) ، ويقتلوا اكثر من ثلاثمائة من الضباط ، والجنود الأمريكيين ، ثم فجروا مركز القوات الفرنسية ، ثم مركز الحاكم الاسرائيلي في صور ، ثم استطاعوا أن يطردوا الاسرائيليين الى ما يسمى بمنطقة الحزام الأمني ـ التي أوجدها الصهاينة على أرض لبنان من أجل حماية أنفسهم ـ ولقنوا اسرائيل درساً لا ينسى ، حتى قال مسؤول كبير في الجيش الاسرائيلي : نحن لا يمكن لنا ان نواصل البقاء في أرض بلد ، يتلهى أطفاله بصيد الطيور بالكلاشينكوف .

يقول الإمام علي (ع) :

« الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ، ونهاراً ، وسراً ، واعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبل ان يغزوكم ، فوالله ! ما غزي قوم قط في عقر دارهم الّا ذلّوا . . . »[1] .

ويقول (ع) أيضا :

« الوفاء لأهل الغدر ، غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر ، وفاء عند الله »[2] .

ويقول (ع) ايضا :

« ردّوا الحجر من حيث جاء فان الشرّ لا يدفعه الّا الشر »[3] .

وبكلمة :

ان الاخلاق ثمرة الحكمة ، ومن الحكمة ان تكون أخلاقياً ، بما لكلمة الأخلاق من معنى ، رحيماً ، رفيقاً بالمؤمنين ، والمسالمين ، وشديداً ، قوياً على أعداء الإسلام ، ورسالته الخالدة .

والآن فلكي نكتسب الحكمة ، ونجعل تصرفاتنا حكيمة خليق بنا اتباع القواعد التالية :

١ ـ ان نتحلى بالاخلاق الإسلامية ، ونجعلها عادات ، وسجايا ، وطباع ، وتقاليد حسنة فينا .

٢ ـ ان نتحلى بأمهات الاخلاق ، ونحافظ على اعتدال انفسنا في العلم ،

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٦٩ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٥١٣ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٥٣٠ .

والشهوة ، والغضب لكي نكون في اطار الفضيلة .

٣ ـ ان نجعل الأخلاق الفاضلة ديدننا ، وطريق الخير الذي لا نزوغ عنه ، وان لا نجعلها تكتيكات مؤقتة لابراز الظاهر الاخلاقي دون الباطن ، او لتحقيق المطامع ، والضحك على ذقون الناس .

٤ ـ ان نجعل اخلاقنا اخلاق تماس ، ومعاشرة ، وتعامل مع الناس ، فأخلاق الانسان لا تقاس حينما يكون وحده ، وبينه وبين نفسه ، وانما باحتكاكه مع الناس .

٥ ـ ان نتخذ الرمز في التحلي بالاخلاق الفاضلة ، فرمزنا الاعلى هو الله ، ومن رموزنا العظام رسولنا الاكرم (ص) ، الذي هو على خلق عظيم .

٦ ـ ان لا نفهم الاخلاق ونمارسها بشكل تجزيئي ، فالاخلاق منها لين ورحمة ، ومنها قوة وشدة ، فاللين والرحمة مع الاخوة والاصدقاء والطيبين ، والقوة والشدة مع الاعداء والطغاة والمستكبرين .

احاديث شيقة في الأخلاق

« الخلق ، وعاء الدين »[1] . (الرسول الاعظم) .

« الإسلام حسن الخلق »[2] . (الرسول الاعظم) .

« ان احسن الحسن ، حسن الخلق »[3] . (الإمام الحسن) .

« الخلق الحسن نصف الدين »[4] . (الرسول الاعظم) .

« لا قرين كحسن الخلق »[5] . (الرسول الاعظم) .

« الخلق المحمود من ثمار العقل ، الخلق المذموم من ثمار الجهل »[6] . (الإمام علي) .

---

(١) كنز العمال ـ خطبة ٥١٣٧ .

(٢) المصدر السابق ـ خطبة ٥٢١٥ .

(٣) بحار الانوار ـ ج٧١ ـ ص٣٨٦ .

(٤) المصدر السابق ـ ج٧١ ـ ص٣٨٥ .

(٥) المصدر السابق ـ ج٧١ ـ ص٣٨٧ .

(٦) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٣٨ .

« لو يعلم العبد ما في حسن الخلق لعلم انه محتاج ان يكون له خلق حسن »[1] . (الرسول الاعظم) .

« حسن الخلق رأس كل برّ»[2] . (الإمام علي) .

« من حسنت خليقته طابت عشرته »[3] . (الإمام علي) .

« ان الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح »[4] . (الإمام الصادق) .

« اول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسن خلقه »[5] . (الرسول الاعظم) .

« كان فيما خاطب الله تعالى نبيّه (ص) أن قال له : « يا محمد ﴿انك لعلى خلق عظيم﴾ : « السخاء ، وحسن الخلق »[6] . (الإمام الصادق) .

عن النبي (ص) انه قال للإمام علي (ع) : « الا اخبرك باشبهكم بي خلقاً » ؟ قال : « بلى يا رسول الله » ، قال : « احسنكم خلقاً ، اعظمكم حلماً ، وابرّكم بقرابته ، واشدّكم من نفسه إنصافاً »[7] . (الرسول الاعظم) .

قيل للصادق (ع) ما حدّ حسن الخلق ؟ قال : « تلين جانبك ، وتطيبّ

---

(١) البحار ـ ج١٠ ـ ص٣٦٩ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٣٨ .
(٣) المصدر السابق ـ ص١٣٩ .
(٤) البحار ـ ج٧١ ـ ص٣٧٧ .
(٥) المصدر السابق ـ ج٧١ ، ص٣٨٥ .
(٦) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٤١ .
(٧) مكارم الاخلاق ـ ص١٧٠ .

كلامك ، وتلقى اخاك ببشر حسن »[1] .

« انما تفسير حسن الخلق ما أصاب الدنيا يرضى ، وان لم يصبه لم يسخط »[2] . (الرسول الاعظم) .

« رأس العلم ، والتمييز بين الاخلاق ، واظهار محمودها وقمع مذمومها »[3] . (الإمام علي) .

« عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه »[4] . (الإمام علي) .

« لا عيش اهنأ من حسن الخلق »[5] . (الإمام الصادق) .

« الخلق منحة يمنحها الله من شاء من خلقه ، فمنه سجية ، ومنه نيّة ، قلت : فأيهما أفضل ؟ قال : صاحب النية أفضل ، فان صاحب السجية هو المجبول على الأمر الذي لا يستطيع غيره ، وصاحب النية هو الذي يتصبر على الطاعة فيصبر فهذا أفضل »[6] . (الإمام الصادق) .

« عليكم بمكارم الاخلاق فانها رفعة ، وايّاكم والاخلاق الدنية فانها تضع الشريف ، وتهدم المجد »[7] . (الإمام علي) .

« خير المكارم الايثار »[8] . (الإمام علي) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٤٢ .
(٢) كنز العمال ـ خطبة ٥٢٢٩ .
(٣) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٤٤ .
(٤) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٣٨ .
(٥) المصدر السابق ـ ص١٣٩ .
(٦) المصدر السابق ـ ص١٤٥ .
(٧) المصدر السابق ـ ص١٤٦ .
(٨) المصدر السابق ـ ص١٥٠ .

« عود نفسك السماح ، وتخيرّ لها من كل خلق أحسنه ، فان الخير عادة »[1] .

« تجنب من كل خلق اسوأه ، وجاهد نفسك على تجنبه ، فان الشر لجاجة »[2] . (الإمام علي) .

« حسن الخلق يزيد في الرزق »[3] . (الإمام الصادق) .

« حسن الخلق يدرّ الارزاق ، ويؤنس الرفاق »[4] . (الإمام علي) .

« ان البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ، ويزيدان في الاعمار »[5] . (الإمام الصادق) .

« ان حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد ، وان سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل »[6] . (الإمام الصادق) .

« حسن الخلق يثبت المودة »[7] . (الرسول الاعظم) .

« من حسن خلقه كثر محبوه وآنست النفوس به »[8] . (الإمام علي) .

« حسّن خلقك يخفف الله عذابك »[9] . (الرسول الاعظم) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٥١ .
(٢) الغرر والدرر .
(٣) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٥١ .
(٤) المصدر السابق ـ ص١٥١ .
(٥) المصدر السابق ـ ص١٥١ .
(٦) المصدر السابق ـ ص١٥١ .
(٧) المصدر السابق ـ ص١٥١ .
(٨) المصدر السابق ـ ص١٥١ .
(٩) المصدر السابق ـ ص١٥٢ .

قال لقمان لابنه : «يابني ! ان عدمك ما تصل به قرابتك ، وتتفضل به على اخوانك ، فلا يُعْدِ مَنَّكَ حسن الخلق ، وبسط البشر ، فانه من أحسن خلقه ، احبه الأخيار وجانبه الفجار »[1] . (الإمام الصادق) .

أبى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة ، فقيل : يا رسول الله ! وكيف ذلك ؟ قال :

« لأنه اذا تاب من ذنب وقع في اعظم من الذنب الذي تاب منه »[2] . (الرسول الاعظم) .

« سوء الخلق شر قرين »[3] . (الإمام علي) .

« سوء الخلق نكد العيش ، وعذاب النفس »[4] . (الإمام علي) .

« قال لقمان لابنه : يا بني ! اياك والضجر ، وسوء الخلق ، وقلة الصبر فلا يستقيم على هذه الخصال صاحب ، والزم نفسك التؤدة في أمورك ، وصبر على مؤونات الاخوان نفسك ، وحسّن مع جميع الناس خلقك »[5] . (الإمام الصادق) .

« الا اخبركم بابعدكم مني شبهاً ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الفاحش . المتفحش ، البذي ، البخيل ، الحقود ، الحسود ، القاسي القلب ، البعيد من كل خير يُرجى ، غير المأمون من كل شر يُتقى »[6] .

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٥٢ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٥٣ .
(٣) المصدر السابق ـ ص١٥٣ .
(٤) الغرر والدرر .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٣ ـ ص١٥٣ .
(٦) المصدر السابق ـ ص١٥٥ .

(الرسول الاعظم) .

سئل الباقر (ع) عن افضل الاخلاق ، فقال : « الصبر والسماحة »[1] .

« اكرم الاخلاق السخاء ، واعمّها نفعاً العدل »[2] . (الإمام علي) .

« اشرف الخلائق ، التواضع والحلم ولين الجانب »[3] . (الإمام علي) .

« احسن الاخلاق ماحملك على المكارم »[4] . (الامام علي) .

« ان أزين الأخلاق الورع والعفاف »[5] . (الإمام علي) .

« عن يحيى بن عمران الحلبي قال : قلت لابي عبدالله (ع) : اي الخصال بالمرء اجمل ؟ فقال :

« وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلب مكافاة ، وتشاغل بغير متاع الدنيا »[6] .

« اذا كان في الرجل خلّة رائعة فانتظر اخواتها »[7] . (الإمام علي)

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٥٦ .
(٢) المصدر السابق ـ ص١٥٦ .
(٣) المصدر السابق ـ ص١٥٦ .
(٤) المصدر السابق ـ ص١٥٦ .
(٥) المصدر السابق ـ ص١٥٦ .
(٦) المصدر السابق ـ ص١٥٧ .
(٧) المصدر السابق ـ ص١٥٧ .

موانع التصرف الحكيم

يقول الإمام علي (ع) :

« غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة »[1] .

ويقول السيد المسيح (ع) :

« انه ليس على كل حال يصلح العسل في الزقاق[2] . وكذلك القلوب ، ليس على كل حال تعمر الحكمة فيها . ان الزقّ ما لم ينخرق ، أو يقحل ، او يتفل ، فسوف يكون للعسل وعاءً ، وكذلك القلوب ، ماله تخرقها الشهوات ، ويدنسها الطمع ، ويغنيها النعيم ، فسوف تكون أوعية للحكمة »[3] .

من تعاريف الحكمة ـ كما مرّ ـ العقل . وهذا العقل الذي هو مصدر التفكير الانساني ، قد تؤثر عليه مجموعة من العوامل المختلفة ، وتغلبه ، وبالتالي تجعل تفكير الانسان ، وتصرفاته ، وأعماله ، وافعاله ، غير حكيمة ،

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٩ .

(٢) مفردها زق ، وهو جلد يجز ولا ينتف ، ويستعمل لحمل الماء ، او لوضع العسل فيه .

(٣) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٨ .

ولا منطقية ـ ان صح التعبير . ومن تلك العوامل التي تؤثر على عقل الانسان ، وحكمته ، وتفكيره ، وأفعاله ، وتمنعه من التعقل والحكمة ، ما يلي : ـ

اولاً : العوامل النفسية[1] :

يتصور الكثيرون ان مشكلة التفكير ، والتصرف العملي للانسان ، مشكلة عقلية محضة ، لا علاقة لها بالنفس . وبالتالي ـ حسب هذا الرأي ـ يحتاج الانسان الى قواعد لتنظيم افكاره ، وممارساته الفعلية .

والحقيقة أن مشكلة التفكير ، والعمل ليست كذلك ، بل هي نفسية قبل أن تكون عقلية ، ولذلك فان نفس الانسان بحاجة الى معالجة ، قبل ان نضع قواعد لعقله ، وتنظيم تفكيره وسلوكه العملي .

الغرائز ، وهوى النفس :

يقول تعالى :

﴿واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى﴾[2] .

وفي الانسان مجموعة من الغرائز ، او الشهوات ، كشهوة الطعام ، والشراب ، وشهوة الجنس ، وشهوة حب الأولاد ، وشهوة السلطة ، وشهوة اتباع السلطان ، وشهوة التملك ، و. . . الخ .

والنظرة العميقة تهدي الى وحدة الغرائز السيكولوجية ، اي انها تنبع من جزء واحد ، هو هوى النفس ، أو حب الذات ، ورجاء الخير لها ، والخشية

---

(١) للاطلاع على التفاصيل راجع كتاب «المنطق الإسلامي» .

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٤٠ ـ ٤١ .

عليها من الشر . غير أن هذه الوحدة السيكولوجية ، لا تتنافى مع الاختلاف الفسيولوجي ، والبيولوجي للغرائز . ومن هنا يتوضح لنا أن الأهواء النفسية ، من أهم موانع الحكمة عن الانسان . والمقصود هنا بالأهواء النفسية التفكير في ما تهواه النفس ، وتحبه ، وفعل ما تهواه النفس وتحبه ، حتى لو كان مخالفاً لما يراه العقل وهي : الافراط في حب الذات ، واستخدام الغرائز خارج نطاقها الشرعي .

يقول الإمام علي (ع) :

« الهوى عدو العقل»[٥] .

الجذور النفسية لموانع الحكمة .

تتنازع النفس البشرية طاقتان ، هما طاقتا : العقل ، والجهل . والجهل طاقة ذاتية نابعة من طبيعة وجود الانسان الناقص . والعقل هبة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ للانسان . وان كل ما يعتري النفس البشرية من انشداد الى المادة ، هو بسبب طبيعتها الذاتية . وما الجذور النفسية للأخطاء ، وموانع الحكمة الاّ مظاهر ، وانعكاسات لطبيعة النفس الذاتية . والجذور النفسية هي :

١ ـ الحب :

الحب هو انجذاب النفس الى شيء . وهو ضغط الجانب النفسي الذي يحدثه الحب ، على الارادة ، وهناك اما أن يرضخ الانسان للحب ، او أنه يرفض الخضوع له . فاذا انجذبت النفس الى الشيء بتوجيه من العقل ، فان هذا الحب ، حب عقلي ، اي يوافقه العقل . واما اذا انجذبت الى الشيء بخلاف العقل ، واحبته ، فان الحب هنا هو الحب النفسي المخالف للعقل ،

---

(١) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٤٢٥ .

وهو هوى النفس المانع للحكمة .

أ ـ حب الذات . ولا شك أن أن حب الذات المفرط يعمي الانسان ، ويمنع الحكمة فيه ، لأنه تعصب لأفكار الذات .

ب ـ حب الآباء . وحب الآباء يؤدي الى أن يقلدهم الابناء . فاذا كان الآباء غير حكماء ، وغير عقلاء ، وسلوكهم العملي منحرفاً ، فان تفكير ، وسلوك الأبناء سيأتي ، غير حكيم ، ومنحرف ، أيضا .

ج ـ حب البيئة ، فاذا كانت البيئة غير سليمة ، ومنحرفة ، وأحبها الانسان ، فان تفكيره ، وتصرفه ، وسلوكه العملي ، سيتأثر بها .

د ـ حب السلف . السلف المقصود منه الأجداد ، ومن يرتبط بالانسان من المتقدمين . فاذا كان السلف ذا تفكير ، وسلوك عملي منحرف ، وأحبهم الانسان ، فانه قد يفكر كما كانوا يفكرون ، ويعمل كما كانوا يعملون .

٢ ـ فقدان الثقة :

الانسان الفاقد لثقته بنفسه ، قد لا يمكنه التفكير ، وربما لا يفكر ، وان كان قادراً عليه ، وقد لا يمكنه التطبيق والعمل ، ثم انه لا يجزم بنتيجة تفكيره ويفقد ثقته بنفسه في التطبيق . ومن لا يمكنه التفكير ، والجزم بنتيجة تفكيره ، ويفقد ثقته في التطبيق والعمل هو ممنوع من الحكمة ، بلا ترديد .

ومن نتائجه :

أ ـ الانغلاق ، دون مصادر الوعي ، والمعرفة ، والذي يؤدي بالتالي الى ابعاد الانسان عن الحكمة ، ومنعه منها .

ب ـ الذوبان في شخصية . ولقد فقد كثير من الأفراد ، بل وحتى أمم ، فقدوا ايمانهم بأنفسهم ، وبقدراتهم ، لأنهم ترددوا في الاعتراف بحقيقة

اكتشفوها ، او توصلوا اليها ـ تخالف لما توصلت اليه تلك الشخصية التي ذابوا فيها . وبديهة ان الذوبان في شخصية حكيمة كالرسول الاعظم (ص) ، والإمام علي (ع) ، وسائر اهل البيت (ع) تجعل من الانسان حكيماً بلا شك .

٣ ـ التسرع :

قال الإمام علي (ع) في وصية له عند وفاته : « . . . انهاك عن التسرع في القول والفعل »[١] .

التسرع صفة أو حالة تنشأ من غريزة حب الراحة . ان الحكمة ، والتفكير المنطقي ، والسلوك العملي السليم ، يتطلب من الانسان التروي ، والتعقل ، والتأني في التفكير ، وتنفيذ نواتج التفكير ، وهذه المسألة تتطلب من الانسان جهداً ، وتركيزاً . ولذلك تجد الكثيرين من الناس يلجأون الى التسرع ، لكي لا يجشموا أنفسهم عناء التفكير ، والتعقل ، والتنفيذ الحكيم ، فيأتي تفكيرهم ، وتصرفهم العملي خاطئاً ، غير حكيم .

ويقول الرسول الاعظم (ص) :

« من تأنى اصاب اوكاد ، ومن عجل اخطأ أوكاد »[٢] .

ومن نتائجه :

أ ـ التعميم الخاطىء .

وهو الانطلاق من قضايا خاصة ، وجعلها تعميماً . ولنضرب لهذا مثلاً بسيطاً : شخص يسمع شخصاً آخراً يكذب كذباً أبيضاً ، على شخص ثالث

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٧٢ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٧٣ .

متنازع مع شخص رابع ، من اجل الاصلاح ، فيقوم الشخص السامع ، ويطلق حكماً كلياً على أن الشخص المتكلم كذّاب دائما ، فيحول هذه الحالة الخاصة الى تعميم كلي .

ب ـ الايمان والعمل بالأفكار الجاهزة . ويعني ذلك التسليم ، والعمل بما توصل اليه الآخرون ، وما عملوا به ، دون تمحيص ، وهذا خلاف الحكمة . الّا ان تلك الافكار اذا كانت صائبة ، فمن الحكمة الايمان والعمل بها . ومن الحكمة الاستفادة مما توصل اليه الآخرون من افكار صحيحة ، ومن اللاحكمة البدء من الصفر فيها .

ثانياً : وراثة الأفكار[1] :

من العوامل التي تؤثر على تفكير الانسان ، وممارسته العملية في الحياة ، وراثة الأفكار . فاذا كانت هذه الأفكار خاطئة ، فلا شك أنها تشكل عاملاً من عوامل الخطأ ، ومانعاً من موانع الحكمة ، أمام الانسان . ووراثة الأفكار تتم باكثر من طريق ، واهمها :

التربية فضخامة الأفكار الموروثة من الأبوين ، لا تعادلها الّا ضخامة العوامل التي تضغط على الوليد باتباع والديه .

وعوامل تأثير التربية على افكار الانسان ، وعمله كثيرة ، أهمها :

١ ـ الفراغ . فالفراغ يؤلم الطفل ، فاذا ما وجد عند أحد ما يسّد هذا الفراغ ، التهمه ، والّا اخترع لنفسه أوهاماً ، يتشبث بها .

٢ ـ ان حب أي شخص ، يبعث على اتباع الفرد له . والطفل في حبه

---

(١) للاطلاع على التفاصيل راجع « المنطق الإسلامي » .

لأبويه ، ومربيه ، يدعوه الى تقمص شخصيتهم .

٣ ـ الاحترام . ويكون من أسباب نشوء حب التقليد في الطفل ، لوالديه ، ومربيه .

وحول مسألة تقليد الآباء ، يقول القرآن الحكيم :

﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلّا قال مترفوها ، انّا وجدنا آباءنا على أمة ، وانّا على آثارهم مقتدون﴾[١] .

ثالثاً : التوافق الاجتماعي[٢] :

يؤثر الاجتماع على الانسان فكراً وعملاً . والتوافق الاجتماعي يعني : أن تحصل حالة انسجام اجتماعي ، بين شخص ما ، وتجمع معين . فاذا كان التجمع طالحاً فان توافق الانسان مع هذا التجمع ، قد يصنع منه انساناً طالحاً ، غير حكيم ، وعكس ذلك صحيح . الا اننا يجب أن لا نهمل دور الفرد ، وقدرته على الاستقلالية ، والقيم السابقة التي يملكها ، ويستطيع أن يقيس بها الضغوط الاجتماعية ، وان يتحداها اذا شاء .

ولعامل التوافق الاجتماعي ثلاث درجات ، هي على الترتيب :

١ ـ عامل التجمع (الحشد) .

٢ ـ عامل الجماعة (الانتماء) .

٣ ـ عامل المجتمع (البيئة) .

والسبب في تدريج هذه العوامل أنها تسير من مستويات التأثيرات

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣ .

(٢) للاطلاع على التفاصيل راجع « المنطق الإسلامي » .

المؤقتة ، المباشرة ، صاعدة الى مستويات التأثير المستقرة ، غير المباشرة . فالفرد في الحشد يتلقى منبهات قوية تؤثر فيه ، بصورة مباشرة ، مما يجعله يحس بأنه واقع ـ فعلا ـ تحت تأثير قوة خارجية ، تحاول توجيه أفكاره . بيد أن هذا التأثير سيظل قوياً ما دام الفرد في التجمع ، فاذا خرج ، كان اكثر قدرة على تقييم ما سمع ، ورفض ما شاء منه .

وبعد الحشد يأتي مستوى الجماعة . فالفرد في الجماعة اكثر تأثراً بالتوجيهات الفكرية التي يتلقاها من جماعته التي ينتمي اليها ، بالقياس الى جماعات أخرى . ولكنها ليست ـ دائما ـ توجيهات مباشرة اذ قد يكون تأثره بنوع أفكارهم ، آتيا من اتخاذه أحدهم قدوة له . ولكنها اكثر استقراراً ، لأن الفرد قد يبقى ـ لفترة طويلة ـ متأثراً بافكار الجماعة .

وبعد الجماعة ، يأتي مستوى المجتمع . وهو أبطأ تأثيراً من الجماعة ، والحشد ، الاّ أنه أبقى أثراً منهما .

عملية غسيل الدماغ[1] :

ومن عوامل الخطأ ، ومن موانع الحكمة التي تؤثر في الأنسان ، غسيل الدماغ . وباختصار هو جعل الفرد يؤمن ، ويعترف بخطأ افكاره ، وسلوكه ، وينصاع للأفكار ، والتوجيهات الجديدة ، باستخدام وسائل معينة ، كالضغوطات النفسية ، مثل الفراغ ، والأيحاء وغيره ، والضغوطات الجسدية ، مثل التعذيب الجسمي .

رابعاً : الانحرافات النفسية[2] :

للانحرافات النفسية ـ المؤدية الى الانحرافات الاخلاقية ـ دور كبير في

---

(١) راجع « المنطق الإسلامي » .

(٢) المصدر السابق .

اضلال البشر ، وهي تشكل مانعاً قوياً ، من موانع الحكمة ، أما الانسان .

وللغرائز دور كبير في خلق الشخصية المنحرفة ، غير الحكيمة ، وتضليلها ، وجعلها تتصف بالصفات السيئة ، كالاجرام ، والحقد ، والحسد ، والتكبر ، والغرور ، فيما اذا لم يضعها الانسان في قناتها السليمة ، وضمن الحدود الشرعية .

والغرائز ، ومفردها غريزة ، هي القوى الراسخة في طبيعة الانسان ، رسوخاً لا يمكن انفصالها عنه . وتساوي كلمة الغريزة ، الطبيعة ، والفطرة ، والبنية ، الاّ أن لفظة الغريزة ، اقواها دلالة على المعنى المقصود ، فهي مغروزة في الانسان .

ومن العوامل التي ترتبط بالعوامل النفسية لموانع الحكمة ، العامل الاقتصادي ، بأبعاده الثلاثة : وسائل الانتاج ، وطريقة التوزيع ، والمستوى العام . فهذه الابعاد الثلاثة ، تؤثر تأثيراً شاملاً على طبيعة الأمة ، وعلى تفكيرها ، وسلوكها العملي في الحياة .

خامساً : العوامل المادية البيولوجية[1] :

العوامل المادية (البيولوجية) ، هي البيئة الطبيعية ، سواء كان محور تأثيرها داخلياً كالمخدرات ، وانواع المنبهات ، والأطعمة . أو كان خارجياً ، كالحرّ ، والبرد ، والرطوبة ، واليبوسة . أو كان عرضيا ، وطارئا ، كالضعف المرضي ، أو أصيلا ، كمستوى الذكاء ، والفوارق العرقية ، مع اختلاف الناس حولها .

وهذه العوامل تؤثر في الفكر البشري ، وفي سلوك الانسان العملي ، وقد

---

(١) المصدر السابق .

تكون من أشد العوامل ضغطا عليه ، باتجاه ارتكاب الأخطاء واللاحكمة .

ويعتبر الجهل من العوامل الرئيسية التي تمنع الانسان من أن يكون حكيماً . ولذلك تجد الإسلام يعطي للعلم والتعلم والتعليم ، اهمية كبرى في الحياة ، ويحارب الأمية والجهل .

كما أن من موانع الحكمة ، أضداد تلك القواعد المذكورة في الفصل القادم ، حول مورثات الحكمة واضداد تلك القواعد هي كالتالي : ـ

١ ـ حب الدنيا والحرص عليها .

٢ ـ الخضوع ، والاستسلام للشهوات ، والأهواء النفسية .

٣ ـ الخضوع ، والاستسلام للشيطان .

٤ ـ عدم اجتناب المعاصي ، والأخطاء .

٥ ـ الغضب ، والطيش ، والغيظ .

٦ ـ الثرثرة الكلامية .

٧ ـ النظر الى ما حرّم الله .

٨ ـ البطنة ، وعدم الاعتدال في الطعام .

٩ ـ اطلاق اللسان ، وعدم حفظه .

١٠ ـ التبصر في عيوب الغير ، وعدم الانشغال بعيوب النفس .

١١ ـ الاسهاب في النطق ، والكلام .

١٢ ـ استعمال العنف مع الاخوان ، والأصدقاء ، والمسالمين .

١٣ ـ الكذب في الحديث .

١٤ ـ تضييع الأمانة ، وعدم أدائها .

١٥ ـ التدخل فيما لا يعني .

١٦ ـ التكبر .

١٧ ـ الأخلاق السيئة ، والانحراف الأخلاقي .

لكي ترث الحكمة

الحكمة كغيرها من الأخلاقيات ، وكمعرفة ، لا تنبع من الفراغ ، بل لابد لها من مصدر ، او منبع تنبع منه ، او سبب تتسبب منه ، مثلها مثل البذرة ، لا تنمو ، ولا تترعرع الاّ بعد أن نهيّىء لها التربة الصالحة ، والماء الجيد ، والمحيط المناسب .

ولكي يرث الانسان الحكمة ، ويتصف بها ، لابد له من ترويض نفسه على مورثات الحكمة ، وممارستها ، ومن مورثات الحكمة ، القواعد الآتية :

القاعدة الأولى : الزهد في الدنيا .

يقول الإمام علي (ع) :

« الزهد كله بين كلمتين من القرآن . قال الله سبحانه : لكي لا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم »[1] .

ويقول (ع) ايضا :

(١) نهج البلاغة ـ ص٥٥٣ .

« ازهد في الدنيا ، يبصرك الله في عوراتها ، ولا تغفل ، فلست بمغفول عنك »[1] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« من زهد في الدنيا ، اثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه »[2] .

هناك حقيقة الهية ثابتة ، وهي ان الدنيا مؤقتة ، وهي ممر الى الآخرة ، ووسيلة ، ومزرعة لها . الا أن الانسان كثيراً ما يقع في الفهم الخاطىء لهذه الحقيقة ، أو تراه يتغافل عنها ، فيتصرف وكأن الدنيا باقية ، مستمرة ، فينشغل بالملذات ، والأموال ، والاملاك ، الى درجة كبيرة ، ويقع فريسة لحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة ، كما يقول الحديث الشريف :

« حب الدنيا ، رأس كل خطيئة »[3] .

ولو أن الانسان تأمل جيدا في الدنيا ، لرآها قصيرة ، فمهما عمّر ، فعمره قصير محدود ، الى نهاية .

يقول الإمام (ع) :

« الدنيا دار ممّر ، لا دار مقر ، والناس فيها رجلان : رجل باع فيها نفسه فأوبقها ، ورجل ابتاع نفسه فاعتقها »[4] .

ويقول (ع) ايضا :

---

(١) المصدر السابق ـ ص٥٤٥ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٧ .
(٣) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص١١١ .
(٤) نهج البلاغة ـ ص٤٩٣ .

« مثل الدنيا كمثل الحية ، ليّن مسها ، والسم الناقع في جوفها ، يهوي اليها الغرّ الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل »[1] .

ويقول (ع) :

« الزهد في الدنيا قصر الأمل ، وشكر كل نعمة ، والورع عن كل ما حرم الله »[2] .

وفي الحقيقة ان الإمام علي (ع) كان مدرسة عظيمة ، وأنموذجاً فريداً فذا في الزهد في الدنيا ، فضلا عن انه مدرسة وانموذج فذ في كل مجال ، ولذلك كان حكيماً . واذا ما قرأت ، وتأملت حكمة قصيرة من حكمه رأيت الدروس ، والعبر ، والحكم تتوالى عليك تترى . فما أحوجنا الى الاقتداء به في الزهد والحكمة والاخلاق وفي كل شيء !

* * *

يقول أحد علماء البحرين المتقدمين (رح) ، في وصية شعرية لابنه ، يزهده فيها من الدنيا ، ويحذره منها :

هي الدار ، دار العناء والمحن ... ودار الغرور ، ودار الحزن
ودار الكروب ودار الحروب ... ودار الخطوب ودار الفتن
ولو نلت ما نال قارونها ... لبتّ ، وفي القلب منها شجن
فمن رام يوما بها أن يعيش ... خليا من الهم فهو الأجن
فلا العذب فيها خلا من أجاج ... ولا الصفو منها خلا من درن
ولا معدم جانبته الهموم ... ولا سالمته صروف الزمن

(١) المصدر السابق ـ ص٤٨٩ .
(٢) تحف العقول ـ ص١٥٤ .

ولا ملك نال منها مناه ولا ذو الغنى بغناه اطمأن
ولا الأنبياء ، ولا الأوصياء ولا مؤمن عاش لم يمتحن
فهون عليك الامور الصعاب وثق بالاله ، ولا تجزعن
فكم اعقب العسر يسر قريب وكم اعقب الظن ما لا يظن

* * *

ومن الأمور التي تزهد في الدنيا القناعة في المعيشة ، والبساطة فيها ، وذكر الموت والتفكر فيه .

يقول الإمام الباقر (ع) :

« اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الا زهد في الدنيا »[1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

«اذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات ، وداعي الشتات »[2] .

ويقول الشاعر :

من لم يبت والبين يحرق قلبه لم يدر كيف تفتت الاكباد

ويقول ابو العتاهية في ذم الحرص على الدنيا :

لقد لعبت وجدّ الموت في طلبي وان في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له ما اشتد حرصي على الدنيا ، ولا طلبي
سبحان من ليس من شيء يعادله ان الحريص على الدنيا لفي تعب

* * *

(١) وسائل الشيعة ـ ج٢ ـ ص٦٤٨ .
(٢) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٣٧٠ .

ان فكرة الزهد نابعة من فكرة النظرة الموضوعية للحياة الدنيا ، باعتبارها مؤقتة فانية ، وان الدار الآخرة هي الدار الباقية ، الخالدة . بحيث تكون الدنيا مرحلة زرع وامتحان ، وعمل للانسان ، يكوّن فيها له ، رصيداً من العمل الصالح ، ينفعه في الآخرة ، ويقيه شر النار ، والعذاب .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾[1] .

ويقول الإمام علي (ع):

« اليوم عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل »[2] .

ولا يعني الزهد ، ان ينعزل الانسان عن ميادين الحياة ، والاجتماع ، ويتصوف ، لأن الانعزال ، والتصوف ، هروب من تحمل المسؤوليات التي حمّله الله ايّاها .

يقول تعالى :

﴿**انا عرضنا الأمانة على السماوات ، والأرض ، والجبال ، فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً**﴾[3] .

والتصوف نظرية ليست من الإسلام في شيء ، أوجدها أولئك المنعزلون عن ميدان الحياة ، والمسؤولية ، ودعمها المستعمرون ، من أجل السيطرة على المسلمين ، وصرف انظارهم عن قضاياهم المصيرية ، وعن الثورة ضدهم . وفرق بين التصوف ، وبين الزهد والتقشف .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية : ٧ ـ ٨ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج١ ـ ص٣٣ .

(٣) سورة الاحزاب ، الآية : ٧٢ .

كذلك لا يعني الزهد ، ان لا يمتلك الانسان شيئا في هذه الحياة ، ويظل فقيراً معدماً ، وانما يمكن له ان يمتلك ـ ضمن الحدود المشروعة ـ ما شاء ، بحيث أن هذه الأملاك لا تملكه ، وتسيطر عليه ، وتجعله في غفلة عن حقيقة مؤقتية الحياة الدنيا . وكما يقول الإمام الصادق (ع) :

« ليس الزهد بأن لا تملك شيئا ، ولكن الزهد بأن لا يملكك شيء» .

ويقول (ع) ايضاً :

« ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ، ولا بتحريم الحلال ، بل الزهد أن لا تكون بما في يدك اوثق منك بما في يد الله عزَّ وجلَّ »[1] .

ويقول القرآن الكريم :

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[2] .

وقال الإمام علي (ع) لرجل تجاوز الحد في التقشف :

« يا هذا ! اما سمعت قول الله ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ ، فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال احب اليه من ابتذالكهابالمقال »[3] .

* * *

وهناك قصة في التاريخ ، تروى في هذا المجال .

يقال : ان شخصا سمع عن رجل زاهد ، ألف كتاباً في الزهد ، فأراد

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج١١ ـ ص٣١٥ .

(٢) سورة القصص ، الآية ٧٧ .

(٣) تحف العقول ـ ص١٥٥ .

الأول ان يلتقي الرجل الزاهد ، فقصده حتى بلغ مكانه ، والتقاه فرأى ان له قصراً فخماً ، وجميلاً ، فيه من الخدم ، ومن الأثاث والطيبات ما يسر العين ، والقلب . فاستغرب الرجل الضيف ، وقال : أأنت ذلك الرجل الزاهد ، مؤلف كتاب الزهد ، ولك هذا القصر العظيم ؟!

فقال الرجل : بلى .

ولكي اثبت لك ذلك دعنا نخرج معاً الى الصحراء . فخرجا حتى قطعا مسافة طويلة ، وبينما هما كذلك اذ تذكر الرجل الضيف مسبحته التي نساها في القصر ، وقال لصاحبه : اني نسيت مسبحتي في قصرك ، ولابد لي من الرجوع اليها . فقال صاحب القصر : انني لم افكر في ذلك القصر الشامخ الذي تركته ، ولا في زوجتي ، وعيالي ، ولكنك تفكر في مسبحة زهيدة ، فأينا الزاهد ، أنت أم أنا ؟!

* * *

والآن اذا أردت ان ترث الحكمة ، كن زاهداً في حياتك .

القاعدة الثانية : غلبة الشهوة .

قال تعالى :

﴿زيّن للناس حب الشهوات ، من النساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة ، من الذهب ، والفضة ، والخيل المسومة ، والانعام ، والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤ .

« اغلب الشهوة ، تكمل لك الحكمة »[1] .

من طبيعة الانسان ، وسليقته انه ميال الى الغرائز المفطور عليها ، والتي هي جزء من تكوينه . وهناك مجموعة من الشهوات التي تتنازعه ، منها : شهوة الأكل ، والشرب ، وشهوة الجنس ، وشهوة حب النساء ، والأولاد وشهوة التملك ، وشهوة حب السلطة ، والجاه .

واذا لم تكن كل هذه الشهوات ، بميزان في الانسان عن طريق سيطرته عليها ، اي اذا لم تكن القوة العاقلة هي المهيمنة ، والموجهة لهذه الشهوات ، فان الانسان يتحول الى ما يشبه الحيوان في الغابة ، أو السفينة التي تتقاذفها الامواج العاتية ، في بحر لجيّ ، وحينها يبتعد الانسان ابتعاداً فادحاً عن شواطىء ومرافىء الحكمة ، والاخلاق الفاضلة .

ولنضرب مثلاً بشهوة الجنس . وهي من الشهوات القوية جدا في الانسان ، الامر الذي دعى الدكتور الالماني ، « سيجمند فرويد » الى القول بـ : أن جميع تصرفات البشر ، تصدر من قاعدتين هما: الغريزة الجنسية ، والرغبة في العظمة .

وبالطبع فان نظرية فرويد غير صحيحة ، الا انها تعبر عن قوة شهوة الجنس ، وقوتها هي التي دعت فرويد الى تفسير كثير من التصرفات ، والظهواهر على أنها من منشأ جنسي .

ولا غرابة ان نجد الشرق والغرب يستخدم شهوة الجنس وتأثيراتها ، كوسيلة فعالة لحرف المسلمين ، ـ وخصوصا الشباب من الجنسين ـ عن ثقافتهم الأصيلة ، واحلال الثقافة الشرقية أو الغربية مكانها .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٧ .

نعود فنقول :

أن الانسان اذا لم يسيطر على هذه الشهوة الجبارة ، ويضعها في إطارها الصحيح ، اما بالصبر ، والصوم ، او الزواج اذا كان قادراً ، فانها قد تصل به الى اسفل مراتب الانحدار ، فتنسيه ربه ، وتجعله يفعل كل شيء كالحيوان ، ويسقط في وحل المحرمات مثل الزنا وغيره ، في سبيل اشباع نهمه الجنسي .

ومثال آخر ، شهوة حب السلطة . والملاحظ أن الناس متفاوتون في هذه الغريزة ، فمنهم من لا يفكر في السلطة وتسنمها الاّ قليلا ، ومنهم من لا يشعر بالاستقرار ، والارتواء النفسي الاّ اذا أصبح متسلطاً ، صغرت هذه السلطة ام كبرت .

واذا أطلق الانسان العنان لشهوة حب السلطة فيه ، فانه قد يتحول الى طاغوت ، لا يفكر الاّ في التسلط ، وممارسة السلطة على الناس في كل شيء ، وفي كل مجال يخوضه ، وبالتالي يصبح انساناً صعب الانقياد ، ويريد من الناس أن يكونوا تحت سلطته ، وقيادته .

والانسان اذا تشبث بحب السلطة ، فانه قد يصاب بمرض جنون العظمة ، فيتشبث بها ، مهما تعرض لرفض ، او مقاومة ، لأن الملك ، عقيم كما يقال . وهذا ما نلاحظه بالنسبة للأمراء ، والملوك ، والحكام ، سواء في العصر القديم ، او الحديث ، انهم يتوصلون الى قناعة بأنهم على خطأ ، وان الناس على حق ، ولكنهم ـ في سبيل المحافظة على سلطتهم ـ يفعلون كل ما من شأنه أن يحفظ لهم هذه السلطة ، من سجن ، وتعذيب ، وتقتيل وتسفير ، وما شابه ذلك من أساليب القهر ، والبطش ، والتنكيل .

دعنا نضرب لذلك بعض الامثلة من الواقع :

شاه ايران البائد . لقد تسلط على الحكم في إيران عام ١٩٤٢ اثر مؤامرة

بريطانية ازاحت والده رضا شاه ، واحلّته مكانه وفي عام ١٩٥٤ أجبر على الخروج من إيران ، على اثر نقمة شعبية قادها آية الله الكاشاني ، والدكتور محمد مصدق .

ولكن حب التشبث بالسلطة ، من جهة ، وعمالته للبريطانيين والامريكيين ، من جهة اخرى ، جعله يصر على الرجوع الى إيران ، ويواصل سيطرته على الحكم ، بعد أن أطاحت المخابرات المركزية الامريكية بمصدّق وبالفعل ارجعه الامريكيون بالتعاون والتنسيق مع البريطانيين .

وفي العالم ١٩٧٨ حينما اشتعلت شرارة الثورة الإسلامية في إيران ، حاول الشاه اخمادها بكل ما يمتلك من طرق ، واساليب ، من الاعتماد على جهاز المخابرات « السافاك » في مراقبة تحرك الناس ، ومطاردتهم ، الى الاعتقال ، والتعذيب بأبشع صوره في السجون الرهيبة ، الى اقحام الجيش في مواجهة التظاهرات الضخمة ، واطلاق الرصاص على المتظاهرين ، الى التغيير المستمر في تشكيلة الحكومة ، وخاصة فيما يرتبط بالأمن الداخلي ، حيث اعلن الشاه حالة الطوارىء باعلان حكومة عسكرية ، الى الاستعانة بأمريكا ، والايغال في العمالة لها ، وكل ذلك من أجل المحافظة والبقاء على (عرش الطاووس) ، الذي تهدم ، ومن أجل التسلط ، والهيمنة على الشعب الايراني المسلم ، ومقدراته ، وليتمتع بلقب شرطي المنطقة ، كما كان يحلو له .

ومثال آخر من نيكاراغوا ، أحد دول أمريكا الوسطى ، حيث تزامن قيام ثورة شعبية برئاسة الجبهة السندنية ، مع انتصار الثورة الاسلامية في إيران .

لقد كان الحاكم على نيكاراغوا آنذاك ، الديكتاتور « انستتيو سوموزا » ، الذي لم يدخر جهدا في ابقاء نفسه على رأس السلطة في تلك البلاد ، لقد اعلن الحكومة العسكرية وحالة الطوارىء ، والأحكام العرفية ، وأقام المذابح

الرهيبة ، الفردية ، والجماعية في الشعب النيكاراغوي ، وسجن ، وعذب ، وأعدم ، وأهدر دماء الآلاف ، وكل ذلك من أجل الاحتفاظ لنفسه بكرسي السلطة .

وبالنتيجة كان مصير كل من الشاه ، وسوموزا ، لا يحسدان عليه ، والى مزبلة التاريخ ، حيث لم يتمتع الأول حتى باللجوء السياسي في أرض سيدته ، الولايات المتحدة الأمريكية ، التي كان طوال فترة عمالته لها ، يركع لها ويسجد . ولم يكن سوموزا اوفر حظاً من الشاه ، حيث مات معزولاً في احدى الولايات الامريكية .

ومثال ثالث ، « الحبيب بورقيبة » ، الرئيس التونسي السابق ، الذي عاصر عهد اكثر من سبعة رؤساء أميركيين ، من الحزب حزب الجمهوري ، والحزب الديمقراطي ، واستمر على رأس السلطة ، والتشبّث بها حتى تنفيذ الانقلاب « الأبيض » عليه .

ومثال رابع ، « فرديناند ماركوس » الرئيس الفلبيني السابق ، الذي قتل من الشعب الفلبيني ـ وخاصة من المسلمين ـ ما قتل ، لكي يبقى على رأس السلطة .

وما اكثر الامثلة ـ في عالمنا اليوم ـ على سيطرة حب السلطة ، او شهوتها على الانسان !

يقول الإمام علي (ع) في منهجته لمفهوم السلطة السياسية ، والهدف منها :

«اللهم! انك تعلم انه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطّلة من

حدودك »[1] .

ويقول الإمام الحسين (ع) :

« اني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح في امتي جدي رسول الله (ص) ، اريد ان آمر بالمعروف ، وانهى عن المنكر ، فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ، ومن ردّ عليّ هذا اصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم بالحق ، وهو خير الحاكمين »[2] .

فالسلطة في نظر اهل البيت عليهم السلام ، ليست كما هي في نظر الحكام في عالمنا اليوم ، هدفا للهيمنة على الناس ، ومقدراتهم ، والالتذاذ بمتاع الدنيا : انها في نظرهم (ع) وسيلة لردّ معالم الدين ، وتطبيق قيمه ومبادئه ، واقامة الحدود المعطلة .

وشهوة السلطة لا تقتصر فقط على الحكم ، بل حب التسلط في أي مجال مهما كان صغيراً . وهذا الحب قد يؤدي بالانسان الى ان تغلبه هذه السلطة بدل ان يغلبها ، وبالتالي يصبح عبداً للسلطة بعيداً عن الحكمة . وهكذا الحال بالنسبة لجميع الشهوات الاخرى ، اذا اطلق الانسان لها العنان ابعدته عن الحكمة ، بل وقتلته لأن الشهوات آفات قاتلات .

فلكي ترث الحكمة ، اعمل على ان تناضل ، وتغلب شهوتك . وتذكر دائما مقولة أمير المؤمنين (ع) :

« لا تجتمع الشهوة والحكمة »[3] .

---

(١) نهج البلاغة ـ ١٨٩ .

(٢) ثورة الحسين ـ محمد مهدي شمس الدين ص١٧٨ .

(٣) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٨ .

القاعدة الثالثة : مقاومة الشيطان.

ان كثيرا من الانحرافات التي يقع فيها الانسان ـ ان لم يكن كلها ـ ترجع الى سيطرة القوة الشيطانية على عقل الانسان ، ويكفي للتدليل على هذه الحقيقة أن ابليس الذي هو الشيطان ، كان السبب في اخراج آدم وحواء من الجنة ، وذلك بأن زين لهما الأكل من تلك الشجرة .

فالشيطان يزين للانسان عمله ويجعله يعجب به ، ويوسوس له في بعض الاحيان ، ويشككه ، ويغري العداوة بينه ، وبين الآخرين ، فينشب الصراع ـ الذي تتفاوت شدته من شخص لآخر ـ بين قوة الشيطان ، وقوة العقل ، فاذا انتصرت قوة العقل ، كان الانسان في طريق الحكمة ، واذا انتصرت قوة الشيطان ، كان الانسان في طريق الانحراف .

والشيطان لا يدخل للانسان من خلال وسائل الانحراف ، والأعمال الرذيلة ، كشرب الخمر ، والزنى ، وما شابه ذلك فحسب ، بل قد يدخل اليه ـ ايضا ـ من خلال الاعمال الحسنة ، والقضايا الايجابية التي يمارسها . فعلى سبيل المثال قد يدخل الشيطان الى قلب الانسان من خلال علمه ، ومكانته العلمية ، فيأتي اليه ، ويهمس في اذنه قائلاً : ايها الانسان! انت عالم ، ولك مكانة علمية مرموقة ، فليس من المعقول ان تتواضع للناس ، بل هم الذين يتواضعون اليك ، وليس من المعقول ان تخدمهم ، بل هم الذين يخدمونك ، وكل ما عليك : ان تطلق الاوامر لهم بذلك ، وانت جالس في مكانك .

وقد يأتي اليه من خلال عمله الجهادي والنضالي فيقول له : أي فلان ! انت مجاهد ، ولك مسيرة نضالية حافلة ، فيجب ان لا يعاملك الناس بشكل عادي . واذا خرجت الى المجتمع ، والتقيت أناساً ، فلا تبدأ بالسلام عليهم ، بل دعهم هم الذين يسلمون عليك ، واذا سلموا عليك ، فارفع رأسك عليهم ،

وكلمهم بأسلوب فوقي ، من وراء انفك ، مع اظهار نفسك بأنك ذو المستوى الاعلى ، وأن الآخرين ضعيفو المستوى أمامك !

وفي كلا المثالين ، اذا استسلم الانسان لتزيين الشيطان ، فانه يصاب العجب ، والكبر ، فيتكبر على الناس ، ويعاملهم معاملة العبيد ، او قد يستصغرهم ، ويحقرهم ، أو قد يفصل الانسان بين علمه ، وعمله ـ كما في المثال الأول ـ فيصبح في النهاية عالماً منحرفاً . والأمثلة على تزيين الشيطان للانسان ، اعماله كثيرة ، ومتعددة .

وقصة بلعم بن عوراء من الأمثلة القرآنية ، التي تبين دور الشيطان في حرف الانسان عن مساره الصحيح ، وطريقه المستقيم . لقد أوتي الاسم الأعظم تكريما له من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولكنه اعجب بنفسه ، وطغى ، وتجبر ، وتكبر ، وفصل علمه عن عمله ، فأصبح من المنحرفين ، والضالين ، المغضوب عليهم .

وبكلمة : ان الشيطان الدّ الأعداء بالنسبة للانسان ، وهدفه تخريب النفس الانسانية . والعدو لا يعرف الا لغة العداء ، والهجوم ، والدخول من الثغرات ، وطالما ان الشيطان هو العدو اللدود بالنسبة للانسان ، فلا نتوقع يوماً ان يكون الشيطان صالحاً ، مرضياً عند الله ، ويعمل من أجل مصلحتنا .

يقول الإمام علي (ع) :

«صافوا الشيطان بالمجاهدة ، واغلبوه بالمخالفة تزكوا انفسكم ، وتعلوا »[1] .

فلكي ترث الحكمة لابد لك أن تقاوم الشيطان وخدعه ، وأحابيله .

---

(١) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص١٧٥ .

القاعدة الرابعة : العصمة .

يقول أمير المؤمنين (ع) :

« لا حكمة ، الا بعصمة »[1] .

العصمة من الفعل عصم ، أي منع . وعصم الشيء عصماً ، اي منعه منعاً . فالعصمة هي المنع ، وملكة اجتناب المعاصي ، والأخطاء وعصم الله فلاناً من المكروه ، اي حفظه الله ، ووقاه .

ولقد بينا مسبقاً ان الانبياء ، والرسل ، والمعصومين من اهل البيت (ع) ، هم المتفردون بالعصمة من الزلل والخطأ .

وذلك لحكمة ـ منه ـ تعالى .

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في حديث قدسي :

« كلكم يسألني العصمة ، فاذا عصمتكم جميعا من الذنوب ، لمن يشمل عفوي وتعمّ رحمتي »؟[2] .

فيتبقى للانسان ان يقتفي شخصيات هؤلاء العظماء ، لكي يصل الى مستوى معين من ملكة اجتناب المعاصي ، والأخطاء ، لأن الارادة الانسانية أمر واقع ، ومتى ما كانت هذه الارادة موجودة فانه يمكن للانسان أن يصل الى حد معين من اجتناب المعاصي والاخطاء ، اذا عمل على تقوية هذه الارادة ، وروّضها ، وقواها .

يقول امام المتقين ، علي ابن ابي طالب (ع) :

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٧ .

(٢) كلمة الله ـ ص١٣٥ .

« . . . وانما هي نفسي اروضها بالتقوى ، لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر »[1] .

ويقول في مورد آخر من نهج البلاغة :

« . . . الا انكم لن تقدروا على ذلك ، ولكن اعينوني بورع ، واجتهاد ، وعفة ، وسداد »[2] .

من هنا فالمطلوب من الانسان ان يخضع نفسه لبرنامج تربوي ، ترويضي ، يقوي فيه ارادته أمام المعاصي ، والأخطاء ، والرذائل ، لكي يوصل نفسه الى مستوى معين من الحكمة ، لا يرقى - باي شكل من الاشكال - الى عصمة الانبياء ، والأئمة (ع) .

يقول تعالى في حديث قدسي :

« عبدي! أطعني أجعلك مثلي ، أنا حيّ لا أموت ، اجعلك حياً لا تموت ، أنا غنيّ لا افتقر ، اجعلك غنياً لا تفتقر ، انا مهما اشاء يكون ، اجعلك مهما تشاء يكون »[3] .

« يا بن آدم! ان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين ، فاطبق ، ولا تنظر . وان نازعك لسانك الى بعض ما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين ، فأطبق ، ولا تتكلم ، وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين ، فأطبق ، ولا تأتي حراماً »[4] .

---

(١) الدليل على موضوعات نهج البلاغة - ص٩٥٢ .
(٢) المصدر السابق - ص٩٥١ .
(٣) كلمة الله - ص١٤٠ .
(٤) المصدر السابق - ص٣٥٥ .

فلكي تكون حكيماً ، استخدم ارادتك ، في الاجتناب عن الاخطاء ، والمعاصي .

القاعدة الخامسة : الحلم .

يقول تعالى : ﴿الذين ينفقون في السراء ، والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين﴾[1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« ان لم تكن حليماً ، فتحلّم ، فانه قل من تشبه بقوم ، الّا اوشك ان يكون منهم »[2] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« الغضب ممحقة لقلب الحكيم ، ومن لم يملك غضبه ، لم يملك عقله »[3] .

وتقول الحكمة الشهيرة :

« الحلم سيد الأخلاق » .

الحلم من الصفات الاولية في الانسان الحكيم . ومن صفات الانسان الحليم ، الرزانة في الشخصية ، والقدرة على التحكم في افعاله ، وردود فعله ، وانفعالاته النفسية .

على عكس ذلك الانسان الغضب ، الطائش ، الذي تكون ردود فعله

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٤ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٥١٣ .

(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩٨ .

كالنار المحرقة ، حتى لأبسط الاسباب .

ان القوة الغضبية من القوى الموجودة في الانسان ، وهي القوة التي تعطيه القدرة على الرفض ، والشجب ، والاستنكار . الا انه يلزم للانسان ان يضبطها ، لأنها اذا طغت على عقله ، جعلته كالبارود المشتعل ، واوردته في المشاكل ، فضلا عن ان الغضب غير الطبيعي ، ينهك الجسم ، ويهدمه ، ويضعف الجهاز العصبي ، ويؤثر على القلب ، والشرايين ، والأوردة ، والشعيرات الدموية ، لأنه يزيد من ضغط الدم فيها ، واذا غضب الانسان ، توترت ، واستنفرت ، كل خلية من خلايا جسمه .

وليس من العجيب ان ترى انساناً في حالة غضب ، والدم يتدفق في وجهه مكسباً له حمرة محسوسة ، وارتجافاً في أعضاء الجسم . فضلا عن ان الناس ترتاح الى ذلك الحليم الرزين الهادىء ، الذي تفوح منه رائحة الحلم ، وضبط النفس .

ان الحلم سيد الاخلاق ، اذ عن طريقه يمكن للانسان ان يضبط كثيراً من اخلاقياته ، وطبائعه ، وتقاليده ، وسجاياه ، بل يمكن للانسان ـ عن طريق الحلم ـ ان يخلق الارضية الصالحة لنفسه ، في جعلها تتصف بسائر المناقب ، والفضائل الاخرى .

قد يقول قائل :

انني انسان غضب ، فكيف ازرع في نفسي صفة الحلم ؟

والجواب :

أن تتحلم في البداية ، أي تتصنع الحلم ، وتحاول قسر نفسك عليه ، وان تروضها ، وتدربها على كظم الغيظ والغضب ، والتحكم فيه . وقد تجد

صعوبة في ذلك ، الا انك اذا كررت ـ متحلما ـ عملية التحكم لمرات عديدة ، فان الحلم سيصبح ـ شيئا فشيئا ـ عادة في نفسك ، وتقليدًا . لانه وكما يقول الرسول الاعظم (ص) :

« الخير عادة »[1] .

وما من شك ان النظر الى سيرة الحلماء ، والحكماء ، واقتفاء آثارهم ، له دور لا ينكر في جعل النفس تتصف بالحلم ، والحكمة ، اذ لا غنى للانسان . في هذه الحياة عن الرمز ، والقدوة .

* * *

ومن القصص التي تذكر في باب الحلم ، والرزانة ، ورجاحة العقل ، والمنقولة من حياة الإمام علي بن الحسين، السجاد (ع) ، ما يلي : ـ

كان عند الإمام ضيوف ، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور . فاقبل الخادم مسرعاً ، فسقط السفّود (حديدة يشوى بها) على رأس ولد ، كان لعلي ابن الحسين (ع) ، تحت الدرجة ، فأصاب رأسه ، فقتله . فقال الإمام للغلام ، وقد تحير ، واضطرب : انت حر لوجه الله ، فأنك لم تتعمده ، وأخذ في جهاز ابنه ، ودفنه[2] .

وجعلت جارية تسكب عليه الماء ، ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يدها عليه ، فشجّه فرفع رأسه اليها ، فقالت له :

والكاظمين الغيظ .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٧ ـ ص١٢٣ .
(٢) المجالس السنية .

قال : قد كظمت غيظي .

قالت : والعافين عن الناس .

قال : عفا الله عنك .

قالت : والله يحب المحسنين .

قال : اذهبي ، فأنت حرة لوجه الله[1] .

* * *

ولما أُتي به ، وبأخوانه ، وعماته ، ومن تخلف من اهل بيته ، اسارى الى يزيد بالشام ، وأتي بهم باب دمشق ، فأوقفوا على درج باب المسجد الجامع ، حيث يقام السبي . فجاء شيخ فدنا من نساء الحسين (ع) ، وعياله ، وقال :

الحمد لله الذي اهلككم ، وقتلكم ، وأراح البلاد من رجالكم ، وأمكن أمير المؤمنين منكم . فلم يقابله علي بن الحسين (ع) بمثل كلامه ، حلما منه ، ورزانة عقل ، بل قال له :

يا شيخ هل قرأت القرآن ؟

قال : نعم .

قال : فهل عرفت هذه الآية ﴿قل لا اسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى﴾ ؟

قال : قد قرأت ذلك ؟

---

(١) المصدر السابق .

فقال له علي : فنحن القربى ، يا شيخ ! فهل قرأت هذه الآية : ﴿**واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ، وللرسول ، ولذي القربى**﴾ ؟

قال : نعم .

فقال له : فنحن القربى ، يا شيخ !

ولكن هل قرأت ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ ؟

قال : قد قرأت ذلك .

فقال : فنحن اهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة ، يا شيخ !

فبقي الشيخ ساكتاً ، نادماً على ما تكلم به ، وقال : بالله انكم . هم . فقال علي بن الحسين (ع) : تالله ! إنا لنحن هم .

فبكى الشيخ ، ورمى عمامته ، ثم رفع رأسه الى السماء ، وقال : اللهم اني ابرأ اليك من عدوّ آل محمد ، من جن ، وانس .

فقال له الامام : نعم ، ان تبت ، تاب الله عليك ، وانت معنا .

فقال : أنا تائب .

فبلغ يزيد حديثه ، فأمر به فقتل[1] .

أترجو الخير من دنيا أهانت حسين السبط ، واختارت يزيدا ؟!

* * *

وهكذا يكون الانسان الحليم ، عقله مسيطر على انفعالاته ، وغضبه .

---

(١) المصدر السابق .

فاذا اردت ان تكون ناجحاً ، سعيداً في حياتك ، هادئاً في تصرفاتك ، وممارساتك ، سوياً في صحتك النفسية ، والجسمية ، محفوفاً ، محبوباً بين أصدقائك ، وزملائك ، ومعارفك ، ومن تلقاه ، اذا كان كذلك ، فعليك بسيد الأخلاق ، ألا وهو :

« الحلم » .

القاعدة السادسة : الصمت .

دخل لقمان على داود ، وهو يسرد الدرع ، فأراد ان يسأله ، فأدركته الحكمة فسكت ، فلمّا اتمّها لبسها ، وقال : نعم لبوس الحرب انت ، فقال : الصمت حكمة ، وقليل فاعله ، فقال له داود : بحق ما سميت حكيماً[1] .

ويقول أمير المؤمنين (ع) :

« ان الصمت باب من أبواب الحكمة »[2] .

ويقول (ع) ايضا :

« لا خير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل »[3] .

ويقول (ع) ايضا :

« بكثرة الصمت تكون الهيبة »[4] .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٥ .
(٢) المصدر السابق ـ ج٥ ـ ص٤٣٥ .
(٣) نهج البلاغة ـ ص٥٠٢ .
(٤) نهج البلاغة ـ ص٥٠٨ .

ويقول (ع) :

« اذا تمّ العقل نقص الكلام »[1] .

الصمت على ثلاثة انواع :

١ ـ صمت التفكر ، والحكمة .

٢ ـ صمت السكوت عن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعن الحكم .

٣ ـ وصمت يكشف عن خلل نفسي ، كالخجل الزائد .

والنوع الاول من الصمت هو المطلوب ، بينما النوع الثاني ، والثالث ، مرفوضان في الإسلام . لأن الأول يهدف الى الحكمة ، والحق ، والثاني سكوت عن الحق ، والثالث مرض نفسي لابد من علاجه .

ان صمت التفكر ، والحكمة ، هو تحكم في الأرادة الناطقة ، وهي اللسان ، عن طريق قوة العقل . اذ ان ليس كل ظرف ، ووقت ، هو مجال للقول بالجهل ، كما أنه ليس كل ظرف ، ووقت ، هو مجال للصمت ، والسكوت ، ولكل شيء معيار وميزان ، اذ لا افراط ، ولا تفريط .

وصمت الحكمة ، هو صمت التفكير ، واستخدام العقل في قضايا نافعة ، وليس أي صمت ، واي تفكير . وهو الاعداد لما يراد قوله ، او فعله ، او تقريره ، في سبيل الحق ، لا في سبيل الباطل . وهو صمت الاجتناب عن الأقوال التي تزيد الانسان سيئات وتبعات .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

---

(١) شرح الغرر والدرر ج٧ ـ ص٣٣٢ .

« اذا رأيتم المؤمن صامتاً ، فادنوا منه فانه يلقّى الحكمة »[1] .

ان صمت الحكمة ، يتطلب من الانسان ان يتكلم في موقع الكلام ، وأن يسكت في موقع السكوت ، لا أن يكون ثرثاراً ، يتدفق الكلام من على لسانه ، كما يتدفق الماء من أنابيب المضخات ، فما وراء الثرثرة الاّ الوقوع في الاخطاء ، والمزالق ، وضعف الشخصية . وكما يقول الإمام علي (ع) : -

« من كثر كلامه ، زلّ »[2] .

ويقول (ع) :

« اذا قلّ الخطاب كثر الصواب »[3] .

ويقول (ع) :

ان القليل من الكلام بأهله حسن ، وان كثيره ممقوت
ما زال ذو صمت ، وما من مكثر الا يزلُّ ، وما يعاب صموت
ان كان ينطق ناطقاً من فضة فالصمت درّ زانه ياقوت[4]

وعن الصمت الايجابي ، تقول الحكمة الشهيرة :

اذا كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب .

أما النوع الثاني من الصمت ، فهو خطير جدا ، اذ عن طريقه يزداد المسيء اساءة ، ويتمادى في اساءته ، ويزداد الظالم ظلما ، ويتمادى في ظلمه .

---

(١) ميزان الحكمة - ج٥ - ص٤٣٦ .
(٢) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٣٣٦ .
(٣) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٣٣٢ .
(٤) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) - ص

ومما يؤسف له بشدة ، كثرة الصمت ـ في عصرنا الحاضر ـ عن تقديم المعروف ، ورد المنكر . اننا نرى المنكر بأم اعيننا ، فلا نتحرك لرده ، في الوقت الذي يكون فيه الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فرعين من فروع الاسلام العشرة ، وتكتفي ـ فقط ـ بالانكار القلبي ، وذلك اضعف الايمان ، وربما لا ننكر شيئا بقلوبنا !

بينما المطلوب ، والواجب على الانسان أن يدرب نفسه على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بيده ، أو بلسانه ، او بقلبه ، حسب الحالة ، وحسب قدرة الانسان الآمر والناهي ، وحسب احتمال التأثير .

ان المسلمين في صدر الإسلام ، وفي العصور المتقدمة الأخرى ، كانوا يطبقون الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر بشكل جيد، ولكننا ـ في هذا العصر ـ قلّما نحرك ساكناً ـ في هذا المجال ـ فهل اصبح المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؟ وهل انقلبت المعادلة ، ام ان الحسن يبقى حسناً ، والقبيح يبقى قبيحاً ؟!

ان الخير هو الخير ، وسيبقى هو الخير ، والشر هو الشر ، وسيبقى كذلك ، والمعروف هو المعروف ، وسيبقى هو المعروف ، والمنكر ، هو المنكر ، وسيبقى كذلك ، مهما تغيرت الظروف ، ومهما تطاولت السنون ، والازمان .

اننا في بعض الأحيان نتجنب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، من أجل ان لا نخسر اصدقاءنا ، ومعارفنا . فعلى سبيل المثال : نرى اصدقاءنا يغتابون الآخرين ، أو ينمّون عليهم ، فنسكت ، ولا نقول لهم شيئاً ، وقد نرى فيهم أموراً لا ترضي الخالق ، فنسكت ايضاً ، ولا نوجههم لما يحبه الله ، ويرضى ، وبعملنا هذا ، نرضي المخلوق ، ونغضب الخالق ، بينما القاعدة

الإسلامية تقول :

« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[1] .

و« امحض اخاك النصيحة ، حسنة كانت أم قبيحة »[2] .

والأدهى والأمرّ اننا في بعض الاحيان نلزم الصمت عن الحكام الطغاة ، والظالمين ، والفاجرين والفاسقين ، والمنافقين ، من أجل أن نعيش ، ونحافظ على مصالحنا الذاتية ، وما كسبته ايدينا من حطام الدنيا ومتاعها ، أو اننا نخاف من الحكام الطغاة ، ومن اجهزتهم الارهابية القمعية . لكننا لو فكرنا ملياً ، وبروية وعقلانية ، لتبين لنا ان الصمت على الظلم من اعظم العار على الانسان !

أليس عار على كل ذي لب ، ان يرى الحاكم الظالم ، يمارس الظلم ، والطغيان ، والعسف ، والاضطهاد ، والفساد ، وانتهاك الاعراض والحرمات ، وتضييع حقوق الناس ، وهضمها ، ويراه يزيف حقائق الإسلام ويتصرف في البلاد ، ومقدراتها ، ويجعلها رهناً بيد الاجانب ، والمستعمرين ، اليس عار عليه ان يرى كل ذلك ، ويسكت ؟!

يقول الرسول الاعظم (ص) :

« الساكت عن الحق ، شيطان أخرس » .

ويقول (ص) ايضا :

---

(١) مكارم الأخلاق ـ ص٤٢٠ (من رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (ع) .
(٢) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٣٨١ .

« ان أفضل الجهاد ، كلمة حق عند سلطان جائر »[1] .

وفي الحقيقة ان سبب صمت بعض الشعوب عن مقاومة الظلم ، والطغيان في بلادها ، هو الخوف من قوة الانظمة ، ومن ارهاب اجهزتها القمعية . علاوة على ذلك تولد شعور عند الناس ، بأن هذه الأجهزة قوية ، ولا يمكن قهرها ، وهي ترصد وتلاحق تحركات اي انسان ، أينما كان . بالاضافة الى شيوع روح عدم الثقة بين الناس في بعضهم البعض ، بسبب تضخيمهم لقوة اجهزة المخابرات من جهة ، وبسبب تهويل الانظمة بقوتها ، وخصوصا في الجوانب الامنية ، والاستخباراتية ، فضلا عن الممارسات الارهابية الفعلية التي تقوم بها هذه الاجهزة ، في داخل السجون ، والمعتقلات ، من جهة اخرى .

ولو ان الناس تعي الامر جيدا ، لما بالغت في الخوف من اجهزة الانظمة القمعية ، فهذه الانظمة ـ مهما أوتيت من القوة ـ هي بمثابة النمور الورقية ، التي تبدو عليها ملامح ، ومظاهر القوة ، الا انها من ورق ، او هي كبيوتات العنكبوت يراها المرء ممتدة ، ومتشعبة ، الا أنها واهية ، وضعيفة جدا ، ومع أقل ضربة تتدمر .

ولقد اثبتت تجارب التاريخ وعبره ، ان أقوى امبراطورية ظالمة ، لا يمكن لها أن تصمد في مقابل تيار الثورة الشعبي الجارف ، والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ، من العصر القديم والحديث . فأين امبراطورية فرعون ؟ واين امبراطورية شاه ايران ، وسوموزا ، ومن شاكلهم ؟

ان الخوف يجب ان يكون من الله فقط ، وليس من المخلوق ، مهما كان قويا ، ومسلحا . وبنظرة واقعية ، وموضوعية ، يمكن القول : أن ارهاب الطغاة

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٧٠ .

قد يولد نوعاً من الخوف عند الناس ، باعتبار أن الخوف غريزة فطرية في الانسان ، يستخدمها في الحذر ، والدفاع عن نفسه ، وابعاد المخاطر عنها . ولكن المطلوب من الشعوب عدم تفخيم هذا الخوف ، وتضخيمه ، والمبالغة فيه ، والتقوقع في زواياه . لأن تضخيم الخوف ، والمبالغة فيه ، يؤخر الشعب ، وثورته على الظلم مدة من الزمن ، من جهة ، ويتيح للحاكم الظالم فرصاً ذهبية لتضييق الخناق عليه ، وكبته ، وتقييده ، ويعطيه قوة ، من جهة أخرى . والمعادلة الاسلامية تقول : « كيفما تكونوا ، يولّى عليكم » .

فالشعب الذي يرضى بالذل والهوان ، ويلزم الصمت عن الظلم ، ويتيح للحاكم الظالم فرصاً لممارسة الظلم ، والطغيان عليه ، ان هذا الشعب لن يذوق الاّ مزيداً من العذاب ، والظلم ، والهوان ، من قبل الحاكم الظالم . أما الشعب الذي يوجه يدا من حديد للحاكم الظالم ، فهو الشعب القوي ، المنتصر ، الذي يحسب له الحاكم الف حساب ، ويرضخ لمطالبه ، ان لم يسقط هذا الحاكم ، ويتحرر الشعب من قيوده ، واغلاله ، عاجلاً أو آجلاً .

وكما يقول أمير المؤمنين (ع) :

« لا يعدم الصبور الظفر ، وان طال به الزمان »[1] .

ولكن اي صبور هو المقصود ؟

انه الصبور ، الذي لا يصمت ، ولا يسكت عن الظلم ، ويصبر في هذا المجال الى أن تحين ساعة الفرج .

ومن الابيات الشعرية التي تنسب لأمير المؤمنين (ع) في الصبر ما يلي : -

اصبر من تعب الادلاج والسهر وبالرواح على الحاجات والكبر

---

(١) نهج البلاغة - ص٤٩٩ .

لا تضجـرن ولا يجـرك مـطلبهـا فـالنجح يتلف بين العجـز والضجر
اني وجـدت وفي الايـام تجـربـة المصبـر عـاقبـة محـمـودة الأثـر
وقـل من جـدّ في أمـر يـطالبـه واستصحب الصبر الّا فاز بالظفر[1]

أما النوع الثالث من الصمت ، فهو ينتج اما من :

ـ أسباب وراثية .

ـ أو تربوية .

ـ أو بيئية .

فالشخص الذي يولد من أب ، وأم خجولين ، أو أحدهما ، فانه قد تنتقل اليه عوامل الخجل الوراثية ، ويكون خجولاً ، والشخص الذي يهان ، ويحقر ـ تربوياً ـ فان عقدة الحقارة قد تنشأ فيه ، مسببة له خجلاً زائداً ، يدعوه الى الركون والصمت السلبي . والشخص الذي يعيش في محيط أو بيئة مشحونة بالخجل ، فانه قد يصبح خجولاً صامتاً ، متأثراً بعامل المحيط ، والبيئة .

ومهما يكن من الأمر ، فان صمت الخجل هذا ، سواء كان ناتجاً عن عوامل وراثية ، او تربوية ، او بيئية ، أو كان ناتجاً عن فقدان الثقة بالنفس ، أو خوفاً من التلعثم في الكلام ، والوقوع في الخطأ ، يمكن علاجه ، لاسيما اذا كان نتيجة اسباب بيئية ، او تربوية ، مع العلم انه حتى الصفات غير الايجابية الموروثة ، كثير منها قابل للتغيير ، والتعديل .

والآن اذا أردت ان ترث الحكمة ، بالدخول من أحد أبوابها الواسعة ، حريّ بك أن تتصف بصمت التفكر ، والتعقل ، والحكمة ، وان تكون رافضاً للظلم بشتى صوره ، واشكاله ، وان تكون شجاعاً ، لا خجولاً .

---

(١) الديوان المنسوب للإمام علي (ع) .

القاعدة السابعة : غض البصر .

يقول تعالى :

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك ازكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الاّ ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن . . .﴾[1].

قد يرمق الانسان بنظراته امرأة يحرم عليه النظر اليها ، فيشعر بلذة للحظات ، وقد ترمق المرأة بنظراتها رجلاً يحرم عليها النظر اليه ، فتشعر بلذة للحظات ، ولكن ماذا بعد ذلك ؟

هل تستمر هذا اللذة ، أم أنها تتحول الى عتاب ، وتوبيخ داخلي ، والى ندم ، وقلق نفسي ؟

لا شك ان الانسان المؤمن يشعر بالتوبيخ الداخلي ، والقلق ، لأنه يعلم انه ارتكب امراً محرماً ، لا يرضي الله ، ورسوله . اما ذلك الانسان البعيد عن حظيرة الايمان ، والمشغول بلذات الدنيا ، فلا يهمه شيئا ، واربما لا يشعر بالذنب ، لأن ارتكابه للذنوب اصبح امراً طبيعياً ، الاّ ان الانسان مهما كان بعيداً عن الايمان ، فهو يشعر بفطرته ، ان ما يقوم به من عمل سيء ، أمر غير مرغوب فيه .

ولا شك ان الانسان يحمل في داخله جذور الفطرة الالهية ، مهما كان شريراً ، او منحرفاً ، ولا شك ان لعامل التقوى ، والورع عن المحرمات ،

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣٠ ـ ٣١

والارادة الذاتية الصلبة ، لها دور كبير في الامتناع عن الاعمال المحرمة التي تغضب الله ، ورسوله .

واللذة مؤقتة ، ولكن آثارها على الانسان تبقى ، فالنظرة المحرمة قد يشعر الانسان بلذة فيها ، ولكنها سرعان ما تتبخر ، وتبقى تبعاتها .

يقول الإمام علي (ع) :

« شتان ما بين عملين : عمل تذهب لذته ، وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤونته ، ويبقى أجره »[1] .

اننا نعيش اليوم في عالم أصبحت فيه المرأة كالسلعة المعروضة ، والسفور ينشر اجنحته هنا ، وهناك ، وما اكثر الدعايات ، والاعلانات التي اقحمت فيها المرأة ، وبشكل سافر ، ولكن هل من الصحيح ان يكون ذلك مبرراً لنا لكي نرضى بالواقع ، ونخضع له ، ولا نغض ابصارنا عما حرم الله ؟

بالطبع ، كلا !

صحيح ان الانسان ميال الى الشهوات ، والغرائز ، ولكن الله زوّده بشحنات من الارادة ، قادرة على مقاومة الاغراءات ، والشهوات المحرمة . وهذه المقاومة التي قد تسبب للانسان ضغطاً نفسياً ، لن تضيع هدراً ، فثمنها في الدنيا ، الحكمة ، وفي الآخرة رضا الله ـ سبحانه وتعالى ، وجنات عدن .

فاذا أردت ان تلمس آثار الحكمة في نفسك ، وتجنب نفسك تبعات اللذة الفانية ، اللامشروعة :

« غض بصرك عما حرم الله » .

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٤٩٠ .

القاعدة الثامنة : اجاعة البطن.

جاء في حديث المعراج :

« يا أحمد ! ان العبد اذا أجاع بطنه ، وحفظ لسانه ، علمته الحكمة ، وان كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ، ووبالا ، وان كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً ، وبرهاناً ، وشفاءاً ، ورحمة ، فيعلم ما لم يكن يعلم ، ويبصر ما لم يكن يبصر . فأول ما ابصره ، عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره ، وأبصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان »[1] .

ويقول الرسول الاعظم (ص) :

« التخمة تفسد الحكمة ، البطنة تحجب الفطنة »[2] .

ويقول أيضا :

« من أكل طعاماً للشهوة ، حرم الله على قلبه الحكمة »[3] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« القلب يتحمل الحكمة عند خلوّ البطن ، القلب يمجّ الحكمة عند امتلاء البطن »[4] .

ماذا تشعر حينما تتناول كمية زائدة من الطعام ؟

هل تشعر بتفتح في العقل ، ام تشعر بانغلاق فيه ، وميل الى النعاس ،

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٧ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩٨ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩٨ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩٨ .

والخمول ؟

ليس غريباً أن تربط الأحاديث الشريفة ، والروايات ، بين امتلاء البطن غياب الفكرة والحكمة .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله الشبع . . . لا تشبعوا فيطفىء نور المعرفة من قلوبكم »[1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« لا تجتمع الفطنة والبطنة »[2] .

ومتى ما غابت الفكرة ، والفطنة ، غابت الحكمة ، ذلك لأن امتلاء البطن ، والتخمة ، خلاف التعاليم الالهية ، وتعاليم الرسول (ص) ، وائمة اهل البيت (ع) ، وخلاف العقل ، في التغذية الصحية ، السليمة .

يقول الإمام علي (ع) :

« اياك والبطنة فمن لزمها كثرت اسقامه ، وفسدت أحلامه »[3] .

ويقول (ع) ايضا : -

« التجوع أنفع الداء »[4] .

ويقول (ع) أيضاً :

---

(١) المصدر السابق - ج١ - ص١٢٢ .
(٢) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٣٧ .
(٣) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٣٦ .
(٤) المصدر السابق - ص٤٩ .

« من اقتصر في أكله كثرت صحته ، وصلحت فكرته »[1] .

ومن هنا يمكن القول : أن الغذاء الذي هو عامل ضروري لبقاء الانسان ، فانه قد يتحول إلى عامل وبال على جسمه ، ونفسه ، وفكره ، وحكمته ، فيما اذا أسرف فيه ، أو أساء استخدامه ، وكما تقول الحكمة الشعبية : كل شيء يزيد عن حده ، ينقلب الى ضده .

وعليه فان الحكمة في التغذية التي تعطي الانسان قوة في الجسم ، وتعطيه الحكمة في الفكر ، والعمل ، تتجه الى الاعتدال في الطعام ، واللجوء اليه حين الاحساس بالجوع ، وتركه ، والشهية لا زالت باقية ، وتناول الاطعمة التي تناسب المعدة ، وتوافقها ، ولا تتناقض معها .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« ليست الحمية من الشيء تركه ، انما الحمية من الشيء ، الاقلال منه »[2] .

ويقول الإمام الرضا (ع) :

« لو أن الناس قصروا (قللوا) في الطعام ، لاستقامت أبدانهم »[3] .

والتغذية الحكيمة ، المعتدلة في الكم ، والكيف هي التي تجعل الانسان مرشحاً لأن يكون حكيماً ، لأنها تجعل اجهزة الجسم ، كالجهاز الهضمي ، والعصبي ، والدوري ، والتنفسي ، والبولي ، والتناسلي ، والمفاوي ، وغيرها من سائر الأجهزة ، تجعلها تعمل بشكل سليم ، ومنتظم ، وحكيم ، اذ أن هناك

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٤ .

(٢) رمز الصحة في طب النبي والأئمة ـ ص٤٣ .

(٣) المصدر السابق ـ ص٤٣ .

ارتباطاً بين التغذية ، ومحيط الانسان ، وبيئته ، وهي ما تسمى بالعوامل البيولوجية ، وبين تفكيره ، وتصرفاته ، وأعماله .

والتقليل من تناول الغذاء ، ليس بالحمية فقط ، بل هناك الصوم بشقيه الواجب ، والمندوب ، وهو من العبادات التي تصح الجسم من جهة ، وتعطي الانسان الحكمة من جهة أخرى . ان الصوم الذي هو امتناع عن المفطرات المادية ، كالأكل ، والشرب ، والمعنوية ، كالغيبة ، والنميمة ، والكذب ، يعتبر من العبادات التي تلعب دوراً كبيراً في التربية الجسمية ، والنفسية ، والروحية ، وتقوي القوة العاقلة في الانسان ، وتجعل بقية القوى وهي القوة الغضبية ، والقوة الشهوية ، والقوة الشيطانية ، منقادة لها ، وحينما تكون القوة العاقلة ، هي القائدة ، والغالبة ، والقاهرة ، آنئذٍ يكون الانسان حكيماً ، وعكس ذلك صحيح تماماً .

فاذا اردت ان تجري الحكمة ، في فكرك ، وفي ممارساتك العملية ، اجع بطنك بالحمية ، والصوم . وفي الصوم الخير الكثير ، ولو لم يكن كذلك لما شرّعه الله وكتبه على المؤمنين . ومن صفات الانبياء ، والائمة (ع) انهم كانوا صوامين ، فأثبت الله الحكمة في قلوبهم . أما عن الحمية فان الطب الحديث يرى أن من أولويات علاج غالبية الامراض والوقاية منها ، هي الحمية .

القاعدة التاسعة : حفظ اللسان

يقول الإمام الباقر (ع) :

« ان هذا اللسان مفتاح كل خير ، وشر ، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه ، وفضته ، فان رسول الله (ص) ، قال : رحم الله مؤمناً أمسك لسانه من كل شر ، فان ذلك صدقه منه على نفسه »[1] .

---

(١) تحف العقول ـ ص٢١٨ .

ويقول الرسول الاعظم (ص) :

« لا يسلم احد من الذنوب ، حتى يخزن لسانه »[1] .

ماذا يقصد بحفظ اللسان ؟

اللسان ـ في حد ذاته ـ قطعة محددة من اللحم ، ولكن هذه القطعة من اللحم، ان أطلق الانسان لها العنان، قادته الى الرذائل والمهالك ومن هنا فليس عجيباً ان تكون حصائد اللسان سبباً لدخول الانسان النار . ولذلك ركز الإسلام الحنيف تركيزاً شديداً على اللسان ، وطريقة استخدامه ، وحفظه ، باعتباره أداة واسعة الاستخدام .

فالمطلوب من الانسان ـ لكي يكون حكيماً ـ أن يعرف كيف يستخدم لسانه ، ومتى ، وأين ، فيتكلم في موضع الكلام ، ويسكت في موضع السكوت ، ولا يغتب الناس ، ولا ينمّ عليهم ، ولا يحقرهم بلسانه ، ولا يستهزىء بهم ، ولا يتكلم عليهم بالسوء ، والشر ، ويلتزم بكافة الأخلاقيات التي تعتمد على حفظ اللسان .

ان هناك قسماً من الناس ـ بدل أن يؤمر عقله على لسانه ـ يؤمر لسانه على عقله ، فلا يعير اهتماماً بلسانه ، ولا يحفظه ، فتراه يتكلم متى شاء ، وأنّى شاء ، فيغتاب هذا ، وينم على ذاك ، ويتهم آخر ، ويقحم نفسه في موضوعات كلامية لا يعيها جيدا ، ويورط نفسه في الفتن ، ويتحول هذا اللسان الى معول تخريب في المجتمع ، وتصبح شخصيات هذا القسم من الناس ، ضعيفة ، واهنة ، غير حكيمة ، لأنه ليس من الحكمة أن لا يحفظ الانسان لسانه .

يقول الإمام علي (ع) :

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٨ ـ ص٤٩٤ .

« اللسان معيار ، اطاشة الجهل ، وأرجحه العقل »[1] .

ويقول (ع) ايضا :

« . . . وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه »[2] .

وتقول الحكمة الشهيرة : « لسانك حصانك . ان صنته صانك ، وان خنته خانك » .

انك اذا حفظت لسانك ، وصنته ، تتحول الى قلعه حصينة ، بلسانك ، واذا خنته ، واطلقت لجامه ، تبدأ تلك القلعة بالانهيار ، ثم يرديك ، ويهلكك .

يقول الإمام علي (ع) :

« لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه »[3] .

فلكي ترثنّ الحكمة حري بك ان تكون عاقلاً ، ولكي تكون عاقلاً لابد أن يكون عقلك قائداً للسانك ، وليس العكس .

ويقول (ع) : ايضا :

« اللسان سبع ، ان خلي عنه عقر »[4] .

فهذه القطعة من اللحم التي في فمك ، تتحول الى وحش عضاض ، شرس كاسر ، فيما اذا تركتها وشأنها ، وخلّيت سبيلها .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٨ ـ ص٤٩٠ .
(٢) نهج البلاغة ـ ص٤٦٩ .
(٣) ميزان الحكمة ـ ج٨ ـ ص٤٩٤ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩٨ .

ويقول (ع) :

« الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به ، فاذا تكلمت به صرت في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك ، وورقك ، فرب كلمة سلبت نعمة ، وجلبت نقمة »[1] .

* * *

قال رجل لرسول الله (ص) : أوصني .

فقال (ص) : احفظ لسانك .

ثم قال له : يا رسول الله ! أوصني .

قال (ص) : احفظ لسانك .

ثم قال : يا رسول الله ! أوصني .

فقال (ص) : ويحك ، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الاّ حصائد السنتهم ؟![2] .

* * *

فاذا أردت ان تكون حكيماً في دار الدنيا ، ومرفوع الرأس في الدار الآخرة ، عليك بهذه الوصية القيمة : « احفظ لسانك » .

القاعدة العاشرة : التبصر في عيوب النفس ، والانشغال عن عيوب الغير .

عادة ما يلجأ الانسان الى النظر في عيوب غيره ، ونسيان عيوب نفسه ، والسبب يرجع بالدرجة الأولى الى حب الذات ، أو حب الأنا . وما من انسان

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٥٤٣ .

(٢) تحف العقول ـ ص٣٩ .

الاّ ويحب ذاته ، الاّ أن التفاوت في ذلك موجود ، فبعض الناس يحب ذاته ولكن بدرجة عادية غير مفرطة ، والبعض الآخر يفرط في حب ذاته ، فيتصور أن كل ما يقوم به حسن ، حتى ولو كان قبيحاً ، ويتصور نفسه كاملاً ، والآخرين ناقصين ، أو يتصور نفسه مصيباً ، والآخرين على خطأ ، وينشغل في عيوب الآخرين ، وينسى أنه لا يخلو من العيوب ، مهما تصور أنه متكامل .

وحب الذات المفرط ، يمكن ان نطلق عليه الروح الانانية ، وهناك اسباب أخرى غيرها ، قد تقود الانسان الى النظر في عيوب غيره ، وعدم التبصر في عيوب نفسه ، منها : الغرور ، والتكبر ، والعجب ، والشعور بالحقارة ، والحسد . ويعتبر حب الذات جذراً ، أو أمّاً لهذه الاسباب ، أو الصفات .

وقد يلجأ الانسان الى التبصر في عيوب غيره ، وعدم الانشغال بعيوب نفسه ، جهلاً منه برداءة هذا الفعل ، فتراه يمارسه ، وكأنه أمر اعتيادي .

ولكي تتبصر في عيوب نفسك ، وتنشغل عن عيوب غيرك ، لا تكن مفرطاً في حب ذاتك ، واذا كانت ثمة صفة أخرى تسبب لك ذلك ، فاعمل على أن تتخلص منها ، واعلم ان التركيز في عيوب الغير ، ونسيان عيوب النفس ، صفة رديئة ، لابد من التخلص منها .

يقول الإمام علي (ع) :

« اعقل الناس من كان بعيبه بصيراً ، وعن عيب غيره ضريراً »[1] .

ويقول الشاعر :

اذا شئت ان تحيا خليا من الأذى وعيبك مستور ، وعرضك صيّن

(١) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٢٨٦ .

لسانك لا تذكر به عورة امرىء فكلك عورات ، وللناس أعين[1]

فاذا أردت ان تكون حكيماً ، لا تتصور انك خال من العيوب ، وتبصر فيها ، وانشغل عن عيوب الآخرين .

القاعدة الحادية عشرة : اجمال النطق .

يقول أمير المؤمنين (ع) :

« كسب الحكمة ، اجمال النطق ، واستعمال الرفق »[2] .

من نعم الله على الانسان ، أن اعطاه طرقاً وأساليب ، يمكنه التعبير بها عن حاجاته ، وبأقصر شكل ، وبأدنى جهد ، وذلك باستخدام الاسلوب الكلامي ، الجزل ، المجمل .

فاذا أردت ان تحدث الآخرين ، من الجيد لك أن تستخدم الكلام المجمل ، المعبر عن المعنى ، ولا داعي لأن توجع آذان الآخرين ، ورؤوسهم ـ فضلا عن اذنيك ، ورأسك ـ بالاسهاب في الكلام ، بلا طائل .

ان هناك قسماً من الناس ، اذا أرادوا أن يعلنوا قضية ، أو عملا ، أو مهمة ، أو خبرا ، تراهم يتكلمون في ذلك ، مرة ، واخرى ، وثالثة ، ويدورون في حلقة تكرارية مملّة . وهذه الطريقة في التحدث ، والتعبير ، توحي للمستمع بالضعف في شخصية المتكلم ، فضلا على ان الأول يمل هذه الطريقة في التحدث ، وينزعج منها ، لاسيما اذا لم يكن رحب الصدر . ولكن لو أن المتكلم عبر عما يريد اعلانه ، والتكلم فيه ، بمنطق مجمل ، لكان أفضل له ، وأحكم . ولا يعني ذلك ـ بأي شكل من الأشكال ـ التحدث للآخرين

---

(١) الديوان المنسوب للإمام علي .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٧ .

بشكل مبهم ، ومعقد ، وانما بأسلوب مبسط ، مجمل ، ومعبر في نفس الوقت . ولا يعني ذلك ـ أيضا ـ أن لا يفصّل القضية التي يكون التفصيل ، الطريقة الوحيدة لفهمها ، او تلك التي تتطلب طبيعتها ، او اهميتها ، الشرح ، والتفريد ، والتفصيل .

وهناك قسم من الناس ، اذا أراد أن يوضح قضية معينة ، واضحة ، تراه يطنب في توضيحها اكثر من اللازم ، فتتحول الى استرسال ممل ، ويكون توضيحها اعقد من تركها كما هي عليه ، ولذا قيل : توضيح الواضحات ، من أشكل المشكلات .

يقول الإمام علي (ع) :

« اذا تم العقل ، نقص الكلام »[1] .

فاذا أردت أن يتم عقلك ، وتجري الحكمة على لسانك فلا تنسى هذه القاعدة الذهبية :

« اجمل في النطق ، بشكل معبر ، وبسيط » .

القاعدة الثانية عشرة : استعمال الرفق .

قد يشعر الانسان بالغرابة ، حينما يعلم بأن الرفق من مورثات الحكمة . ولكن ـ في الحقيقة ـ لا غرابة ابدا ، فهذا الرفق ، واللين الذي قد ينظر الانسان اليه نظرة سطحية غير واعية ، يمكن أن يفتح له باب واسعاً من أبواب الحكمة .

والرفق يعني : ان تكون ليناً في علاقاتك ، وتعاملك مع اخوانك ، لا مجال للعنف بينك ، وبينهم . بل ان من سماحة الإسلام أنه جعل حتى معاملة

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٤٨٠ .

الانسان للحيوان ، معاملة الرفق واللين . أما العنف ، والخشونة فهي وسيلة التعامل الموضوعية ، مع الطغاة والظالمين ، والمستكبرين ، والمنافقين ، واعداء الدين .

يقول القرآن الحكيم :

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار ، والمنافقين ، واغلظ عليهم﴾[1] .

ويقول ايضا :

﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[2] .

* * *

ان قوى الاستكبار ، والامبريالية ، تنظر الى كفاح الشعوب العالمية ـ ومنها الشعوب الاسلامية ـ ضد الظلم ، والاستعباد ، والفساد ، ومن اجل حقوقها المشروعة ، تنظر اليه على أنه ارهاب تجب مكافحته ، وفي الحقيقة ان المستكبرين والامبرياليين ، هم الارهابيون فعلا ، وان ما تقوم به الشعوب والحركات ، ومنها الشعوب الاسلامية ، والحركات الاسلامية العاملة ، هو الطريقة الموضوعية لنيل المطالب ، والحقوق ، وكما يقول الشاعر :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وهناك قسم ، من المغفلين يتصور أنه حتى الطغاة الجائرين ، يجب معاملتهم بالرفق ، ويستدلون على ذلك بأن الإسلام دين الرفق . وهذا خطأ

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧٣ .

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٦٠ .

فادح ، وهؤلاء هم ممثلوا الايادي الاستعمارية في الشعوب ، سواء كان بارادتهم ام بغيرها . والاّ هل تعامل السارق الذي دخل بيتك ، وغصب منه ما غصب ، ونهب منه ما نهب من ممتلكاتك ، هل تعامله بأن تقدم له باقة من الورد ، أو تعطيه كل ما يريد ، أم يلزمك أن تتخذ رد فعل رادع له من هذه الجريمة ، لاسترجاع حقوقك ؟!

من هنا ، فلا رفق بالطغاة وأعداء الدين ، وانما الرفق بالاخوان ، والأصدقاء ، والمؤمنين ، وعموم الناس الصالحين ، والطيبين .

* * *

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« من حرم الرفق ، فقد حرم الخير كله »[1] .

ويقول (ص) ايضا :

« من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة »[2] .

ولا ننسى أن من يؤت الحكمة اوتي خيراً كثيراً ، والرفق فيه خير كثير ، وبالتالي فهو من الحكمة .

فاذا أردت أن تدخل باباً من أبواب الحكمة ، عليك باستعمال الرفق مع الناس .

القاعدة الثالثة عشرة : صدق الحديث .

قيل للقمان ـ عليه السلام :

---

(١) تحف العقول ـ ص٣٥ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٤ ص١٥٧ .

ألست عبد آل فلان ؟

قال : بلى .

قيل : فما بلغ بك ما نرى ؟

قال : « صدق الحديث ، واداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني ، وغض بصري ، وكف لساني ، وعفة طعمتي ، فمن نقص عن هذا فهو دوني ، ومن زاد عليه فهو فوقي ، ومن عمله فهو مثلي »[1] .

ويقول الإمام الكاظم (ع) :

« من صدق لسانه ، زكى عمله »[2] .

صفة الصدق ، من الصفات التي تعبر عن صفاء نفس الانسان ، وشفافيتها . وهي من الصفات التي تعطي تطابقا بين ما يكنه الانسان داخل صدره ، وبينما يقوله ، ويفعله ، ويقرره ، في الواقع الخارجي . وهو ضد الكذب ، الذي هو اعطاء حقائق ، خلاف لتلك الحقائق الموجودة في النفس .

والكذب ، من علامات النفاق ، الذي هو اظهار خلاف لما في الباطن ، حيث ان المنافق لا يعير للصدق أي اهتمام ، وربما يلجأ الى الصدق اذا كان لمصلحته ، ويستخدم الكذب ، لتحقيق أهدافه ، ومآربه ، ومصالحه .

يقول رسول الله (ص) :

« للمنافق ثلاث علامات : ان حدّث كذب ، وان ائتمن خان ، وان وعد أخلف »[3] .

---

(١) المصدر السابق ـ ج٢ ـ ص٤٩٧ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج٥ ـ ص٢٨٦ .

(٣) تحف العقول ـ ص٩ .

وبما أن الكذب من صفات المنافقين ، فان الصدق من صفات المؤمنين المتقين الذين يتقون الله حق تقاته ، ويخشونه حق خشيته ، وبالتالي فان الصدق من صفات الحكماء الذين يضعون الشيء موضعه ، والذين هم بالدرجة الأولى مؤمنون ، ومتقون .

فاذا أردت أن ترث الحكمة ، عليك بهذه القاعدة التي عمل بها كل الانبياء ، والرسل ، والائمة (ع) ، والصالحون :

« اصدق في حديثك » .

القاعدة الرابعة عشرة : أداء الأمانة .

هل حدث أن أودع شخص ما أمانة عندك ؟

فاذا كان جوابك بالايجاب ، فما هو الشعور الذي كان ينتابك ، وانت تتسلم الأمانة من يد ذلك الشخص ؟

وهل انتابك احساس بأن هذه الأمانة مسؤولية في عنقك ، ولا بد من المحافظة عليها ، وارجاعها الى صاحبها ـ براً كان او فاجراً ـ وقت الطلب ؟

وهل انتابك شعور بالخوف من الله ، وانت تحتفظ بتلك الامانة ، متحرزاً من ميول نفسك الشيطانية التي قد تحدثك بتضييع تلك الأمانة ، وعدم أدائها ؟

اذا كانت اجوبتك بالايجاب ، فان باباً من أبواب الحكمة ، قد انفتح لك ، وأصبحت اميناً ، يرغب الاخرون في ايداع أماناتهم عندك ، وكنت ذلك الانسان الموثوق ، الذي على درجة من تقوى الله وخشيته .

يقول تعالى :

﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس ،

ان تحكموا بالعدل﴾[1] .

فكم هي الراحة ، والمتعة النفسية ، والنجاح في الاجتماع ـ فضلاً عن رضا الخالق ـ التي يجنيها الانسان حينما يؤدي امانة اؤتمن عليها ، ويتقلد وسام الأمانة !

يقول الإمام الصادق (ع) :

« عليكم بالورع ، والاجتهاد ، وصدق الحديث ، واداء الأمانة الى من ائتمنكم عليها ، برّاً كان ، او فاجراً ، فلو أن قاتل علي بن ابي طالب (ع) ائتمنني على أمانة لأديتها اليه »[2] .

اذن ، فلكي ترث الحكمة ، وتتذوق حلاوتها ، حريّ بك ان تعمل بهذه القاعدة الايمانية :

« أدّ الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك »[3] .

القاعدة الخامسة عشرة : ترك ما لا يعني :

الانسان في هذه الحياة ، مكلف بمسؤوليات متعددة ، ألا أن لهذه المسؤوليات حدودا ، ليس من الجيّد تخطيها ، وخرقها ، لأن خرق حدود المسؤوليات ، مفسدة للأعمال ، وتعكير لصفو المتصدين للمسؤوليات المخروقة .

ومن القواعد التي تتيح للانسان احترام مسؤولياته ، ومسؤوليات الآخرين ، ترك ما لا يعنيه ، وعدم التدخل فيما هو خارج عن نطاق مسؤوليته .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

(٢) ميزان الحكمة ـ ج١ ـ ص٣٤٥ .

(٣) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٢٦ .

وفرق بين التدخل فيما لا يعني ، وبين المبادرة ، فالتدخل ، عادةً ، قد تتكوّن في الانسان ، أو هو مبادرة في غير محلها . أما المبادرة الحقيقية ، فهي ظرف استثنائي ، يلجأ اليه في حالات خاصة . كذلك فان المبادرة يجب ان تكون مدروسة ، وهي على نوعين من حيث الآثار المترتبة عليها : مبادرة لا تؤثر على مجرى العمل الّا يسيراً ، وأخرى تؤثر على مجرى العمل بشكل كبير او تشكل خطورة عليه ، وربما تقلبه رأساً على عقب ، وتضيع الهدف المنشود منه .

والتدخل في شؤون الآخرين ، ومسؤولياتهم ، قد يكون باكثر من وسيلة ، فاما عن طريق اللسان ، والتدخل الكلامي فيما لا يعني ، او عن طريق العمل ، والممارسة ، أو التقرير .

تصور نفسك مديراً مكلفاً بادارة مشروع معين ، ثم يأتي شخص آخر ويتدخل في مسؤوليتك ، فيزيحك ويتحمل الادارة بدلاً منك ، او أنه يقحم نفسه في قضايا ادارية تخصك ، فهل هذا التصرف ، صحيح ، ام انه تدخل فيما لا يعنيه ؟

وقس على ذلك الكثير من الأمثلة ، وفي جميع المجالات .

ان بعضا من الناس يقحمون أنفسهم في قضايا ، واعمال لا ترتبط بهم ، ولا تعنيهم ، او قد ترتبط بهم ، ولكنهم ليسوا مكلفين بها مباشرة . وهذه طفيلية فيهم ينبغي لهم ان يتخلصوا منها ، فهم كالذباب ، فهو طفيلي يقحم نفسه في الحلول على اي شيء يراه ، عناه أم يعنه ، نظيفاً كان ، ام قذراً ، أو هم كالاطفال الذين ينشغلون بأي شيء ترمقه عيونهم ، ويتدخلون فيه ، ولذلك سمي الطفل طفلاً ، لأن فيه صفة الطفيلية ، وهي حالة ناتجة عن نقصان في تكامل القوة العقلية فيه . ولذلك فان الطفل ليس مكلفاً في الإسلام ، ويبدأ

تكليفه حينما يصل الى سن الرشد ، والبلوغ .

الا أن هنا نقطة هامة لابد من التذكير بها ، وهي : انه ليس المقصود من ترك ما لا يعني ، ان يتنصل الانسان عن اداء مسؤولياته الحياتية ، والرسالية ، متذرعاً بان تلك المسؤوليات لا تعنيه ، او أن تحمله لها وضع لنفسه في التهلكة ، كما يحلو للبعض أن يبرر هكذا ، وهذا تبرير ، وتقاعس من الانسان في هذه الحالة ، اذ لا بد للانسان ان يتحمل مسؤولياته الدينية ، والرسالية بنية صادقة ، واخلاص ، وبكل ما أوتي من قوة ، من اجل أن ترتفع راية الإسلام ، وترفرف على أرض هذا العالم ، لتملأ قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

وكما بينا سابقاً ، ان ترك ما لا يعني ، لا يقصد منه ترك المبادرة في الحالات الخاصة ، والاستثنائية ، التي تكون فيها المبادرة أمراً لازماً . أو محبذاً . ولنضرب مثلاً للمبادرة اللازمة في الحالة الخاصة :

* * *

حدث أن صديقين ذهبا الى منتزه لقضاء وقت طيب ، وجلسا بحذاء طاولة وضعت الى القرب من حافة البركة التي وضعت فيها قوارب الأطفال التي تسير بحركة الأرجل .

وفي الأثناء ، مرّ طفل في الرابعة من عمره بحذاء حافة البركة ، وهو سارح في الخيال ، وما هي الاّ لحظات ، وسقط الطفل في البركة ـ التي كانت عميقة نسبياً ـ وأخذ يغرق ، فما كان من أحد الصديقين الاّ ان بادر ، وقذف بنفسه الى الماء وراء الطفل وكان الصديق يرتدي بدلة ، وضعت فيها بطاقته الشخصية ، ومبلغاً من المال ، وانتشل الطفل من الماء ، وانقذه من الموت ، ولو لم يبادر لكان موت الطفل محققاً .

ومثال آخر :

يدخل احد الجيوش معركة ضد عدوله ، والجيش قائد ، ونائب للقائد . وفي اثناء القتال يصادف ان يقتل القائد ، ونائبه ، فيقوم أحد الضباط ، أو الجنود ، بأخذ زمام المبادرة ، وتولي قيادة الجيش .

* * *

فاذا أحببت ان ترث الحكمة ، حريّ لك ان تلتزم بهذه القاعدة العقلانية :

« اترك ما لا يعنيك ، ولا تنسى المبادرة في الحالات الخاصة » .

القاعدة السادسة عشرة : التواضع .

هل حدث لك أن تمشيت ـ في ليلة قمراء ـ بحذاء بركة ، أو ترعة ماء ؟

لا شك انك كنت تفعل ذلك ، فتشاهد صور النجوم منعكسة على صفحة الماء ، بكل تواضع ، وأريحية ، مع ان هذه النجوم تبعد عن الأرض عدة سنوات ضوئية على أقل التقادير .

وهل حدث لك ان رأيت سحباً من الدخان المتصاعد الى عنان السماء ؟

ولا شك ـ أيضا ـ انك رأيته يتصاعد متبختراً بنفسه ، زاهياً بها . ولكن اين الدخان من النجم ؟

فما أجمل النجم الرفيع ، وهو يتواضع ؟ .

وما اتفه الدخان الوضيع ، وهو يتعالى !

يقول الشاعر :

تواضع ، تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء ، وهو رفيع

ولا تـك كـالـدخـان يعلو بنفســه الى طبقـات الجـو ، وهــو وضيـع

فما أجمل الانسان حينما يكون للآخرين ! ، وما أشبهه بنقطة النور التي تتجمع عليها الفراشات الحائمة ! وما أعظم التواضع الذي يفعل في الناس فعل السحر ، فينشدون الى ذلك الانسان المتواضع ، كما ينشدّ المتفرجون في حديقة خضراء ، الى وردة جميلة ، بهية الألوان ، تفوح منها رائحة العطر !

وهكذا هو التواضع ، جاه ومكانة للانسان ، ورفعة ، وليس وضاعة ، وذلة . ان البعض من الناس يتصور ان التواضع ضعف ، وذلة في الانسان ، ووهن في شخصيته ، فيلجأون الى الغرور والتكبر، او أنهم يلجأون الى انتهاز تواضع الانسان ، فيتأمرون عليه ، او يحقرونه ، أو يستهزؤون به ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، فالمتواضع هو قوي الشخصية ، وان بدا ليّناً متسامحاً ، وهو الذي يكسب الناس اليه . بينما ينفر الناس من المغرور ، والمتكبر ، كما تنفر الغنم من الذئب المداهم لها .

يقول القرآن الكريم في وصف المؤمنين المتواضعين :

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا سلاما﴾[1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« من تواضع عظمه الله ورفعه »[2] .

ويقول الإمام الكاظم (ع) :

« ان الزرع ينبت في السهل ، ولا ينبت في الصفا ، فكذلك الحكمة

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣ .

(٢) شرح الغرر والدرر - ج٧ - ص٤٠٦ .

تعمر قلب المتواضع ، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، لأن الله جعل التواضع آلة العقل »[1] .

فاذا أردت ان تكون حكيماً ، محبوباً ، محشوداً ، كنقطة العسل التي يتهافت عليها النمل ، ويتجمع ، او كالوردة الجميلة العبقة التي تفوح منها رائحة النرجس ، أو الياسمين ، وينشدّ الناظرون اليها ، اذا أردت ذلك فلتدرّب نفسك على فن التواضع ـ وما أسهله من فن ! ـ ، واعمل على ان يكون التواضع تقليداً فيك وسجية وطبعا .

القاعدة السابعة عشرة : الأخلاق الصالحة .

يقول الإمام الهادي (ع) :

« الحكمة لا تنجح في الطباع الفاسدة »[2] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« الخالق المحمود من ثمار العقل »[3] .

* * *

جاء في سيرة الرسول الاكرم (ص) أنه :

أرسل علياً ، في سرية لبلاد طيّ ، قوامها مائة ، وخمسون رجلاً ، ليهدم صنماً كانوا يقدسونه ، في مكان يدعى الفلس . فخرج بمن معه في ربيع الثاني ، من السنة التاسعة للهجرة . ومضى عليّ يقود تلك السرية ، حتى قارب بعض الأحياء العربية الموالية لطيّء ، ومع تباشير الفجر مضى بمن معه الى

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩٨ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩٩ .

(٣) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ٥ .

أحياء طيّء ، وشن عليهم هجوماً مفاجئاً ، فمزق شملهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر بعضهم ، وفرّ الباقون ، واستولى على بعض مواشيهم ، وهدم الصنم الذي كانوا يلوذون به ، وأخرج من خزانته ثلاثة سيوف ، وثلاثة دروع ، وفرّ زعيمهم ، عديّ بن حاتم الطائي الى بلاد الشام . ورجع عليّ بالأسرى ، والغنائم ، الى المدينة ، وكانت سفانة بنت حاتم الطائي معهم ، فأنزل السبي في حظيرة الى جانب المسجد ، قد اعدت لهذه الغاية .

ومرّ النبي بالأسرى ، وهم في تلك الحظيرة ، فقامت اليه سفانة ، وكانت ذات عقل ، ووقار ، وقالت :

يا رسول الله ! هلك الوالد وغاب الرافد .

فقال : من رافدك ؟

قالت : عدي بن حاتم .

فقال : الفارّ من الله ، ورسوله ؟! ، ومضى .

وفي اليوم الثاني مرّ الرسول ، فأشار عليّ الى سفانة أن تكلم النبي ، وكان مما قالت له :

يا محمد ! ان رأيت أن تخلّي عني ، ولا تشمت بنا أحياء العرب ، فاني ابنة سيدهم . وكان ابي يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويفشي السلام بين الناس ، فامنن علينا منّ الله عليك .

فقال : قد فعلت ، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ، واذا أردت الذهاب آذنيني .

فقالت : انا لوحدي ، أم ومن معي .

فقال بما معناه : انت ، ومن معك ، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه . اطلقوا سراحها ، لأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

وبقيت عنده معززة ، مكرمة ، حتى اذا جاء وفدطيء، أخبرته أن لها فيهم ثقة ، واطمئنانا . فكساها الرسول (ص) ، وحملها على بعير ، وأعطاها من النفقة ما يسد حاجتها ، وفي رواية اعطاها من الغنم والابل ، ما امتلأت به الصحراء .

فلما رأت عطاءه ، قالت :

شكرتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله ببرّك مواضعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة من كريم ، الّا وجعلك سببا لردها عليها[1] .

* * *

اذا كانت الاخلاق ثمرة من ثمرات العقل ، ونتيجة لاستخدامه على الوجه الأصلح (الحكمة العملية) ، فان من الحكمة العملية ، الاخلاق ، التي من أفرادها الحكمة .

وكل شيء صالح لا ينمو الّا في البيئة الصالحة . والأخلاق الصالحة ، والعادات الحميدة ، والطباع الحسنة ، والسجايا الخيّرة هي البيئة الصالحة ، والمناخ الحسن ، لنماء الحكمة ، ونجاحها في الانسان . ومن هنا قلّما تجد انساناً ذا طباع فاسدة ، وأخلاق سيئة ، ويكون حكيماً . هذا اذا اعتبرنا ان الحكمة هي ممارسة وضع الشيء في موضعه عمليا . واذا اعتبرنا الحكمة ، هي المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن الحكيم ، كوحدانية الله ، وأزليته ،

---

(١) سيرة المصطفى ـ هاشم معروف الحسني ص٦٤٦ .

ووجود حياة آخرة بعد الحياة الأولى ، والموت ، والحشر ، والحساب ، والجنة ، والنار ، و . . . اذا اعتبرنا الحكمة كذلك ، فانها أيضا لا تتواجد ، ولا تنمو ، ولا تنجح في ظل الأخلاق السيئة ، لأن الاخلاق السيئة ، تجرّ الانسان الى قلة الاهتمام بالمعارف الحقيقية القرآنية ، وربما تجره الى انكارها كمرحلة متطورة من الفساد الأخلاقي . وهذه الحقيقة تفسر لنا ضعف الارتباط الروحي بالله سبحانه وتعالى ، وبالمعارف الحقيقية ، عند اصحاب الأخلاق الفاسدة .

وبتعبير آخر ، ان الانسان الأخلاقي هو المرشح لأن يكون حكيماً ، على صعيد العلم والايمان بالمعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن الكريم ، وعلى صعيد تطبيق وضع الشيء في موضعه ، وعلى صعيد الوعي والعقل والفكر .

والأخلاق التي تتسبب في وراثة الانسان الحكمة لا غنى للانسان عنها كيفما كان ، وفي اي ظرف من الظروف ، وفي اي زمن من الأزمنة ، سواء كان أميّاً ، أو كان عالماً متضلعاً في العلم ، ومتبحراً فيه . انك تجد من الناس من هو حكيم من الناحية العلمية ، اي على مستوى رفيع من العلم ، ولكنه ليس اخلاقياً . وما اكثر الناس الذين ينتمون الى هذه النوعية ـ في عصرنا الحاضر ـ فتراهم متعمقون في فرع أو اكثر من فروع العلم ، ولكن رصيدهم من الناحية الأخلاقية ، يكاد يكون صفراً على الشمال ، فما قيمة العلم ، في غياب الأخلاق ؟!

ان الأخلاق قاعدة ضرورية لنشوء الانسان الحضاري ، كما أنها قاعدة ضرورية ـ ايضا ـ لبقاء وتقدم الحضارات . ومن هنا فان من أحد عوامل انهيار المجتمعات والحضارات ، هو تضييع الأخلاق ، والفساد ، والانحلال الأخلاقي . وما اكثر الحضارات القديمة التي سقطت بسبب الانحراف ، والتفسخ الخلقيين ! وما اكثر الانظمة التي تنهار في عصرنا الحاضر ، ويكون

للابتعاد عن الأخلاق ، وممارسة الفساد الدور الاكبر في تسبيب انهيارها !

وفي قصص القرآن الحكيم العديد من الأمم والحضارات ، التي قد دمّرت ، بسبب الانحراف الاخلاقي ، والفساد ، وغياب الحكمة ، ومنها ما تذكره السورة الكريمة التالية :

يقول تعالى ، في سورة الفجر :

﴿والفجر . وليال عشر . والشفع ، والوتر ، والليل اذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر . ألم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصبّ عليهم ربك سوط عذاب . ان ربّك لبالمرصاد﴾ .

ويقول الشاعر :

« وانما الأمم ، الأخلاق ما بقيت فان همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا »

والإسلام هو دين الأخلاق ، والآداب ، وهو يحترمها ايّما احترام ، ويشجع على تطبيقها ، والالتزام ، والتطبع بها ، وبالتالي فهو يعطي للأخلاق دوراً رئيساً في حياة الانسان ، وفي إنشاء الحضارة . بل أن من أهم أهداف الثورة في الإسلام ، هو احلال واقع الأخلاق ، محل واقع اللاأخلاق . واطلاق الرسول سراح سفانة بنت حاتم من الأسر ، لأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، يعطي درساً لنا ، بأن الإسلام يحترم الأخلاق ، حتى لو كانت صادرة من الكافر ، لأن الإسلام يدعو الى الأخلاق .

يقول الإمام علي (ع) :

« حسن الخلق رأس كل برّ »[1] .

ويقول (ع) :

« ثمرة الادب حسن الخلق »[2] .

والآن اذا أردت أن تكون حكيماً ، عارفاً ، وواضعاً للشيء في موضعه ، اعمل على ان تكون ذا أخلاق صالحة ، محمودة .

---

(١) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٩٤ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١١ .

من آثار الحكمة

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« كاد الحكيم ان يكون نبياً »[1] .

ويقول (ص) أيضاً :

« لا حليم الاّ ذو عثرة ، ولا حكيم الاّ ذو تجربة »[2] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« الحكماء أشرف الناس أنفساً ، واكثرهم صبراً ، وأسرعهم عفواً »[3] .

ويقول (ع) أيضاً :

« الحكيم يشفي السائل ، ويجود بالفضائل »[4] .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩١ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .

ويقول (ع) ايضاً :

« ان كلام الحكيم اذا كان صواباً كان دواءاً ، واذا كان خطأ ، كان داءاً »[1] .

آثار الحكمة هي لمساتها ، وبصماتها التي تتركها في شخصية الانسان ، او هي تلك القيم ، والخصال الحميدة المترتبة على الاتصاف بالحكمة . وما من شيء في هذه الحياة الاّ وله أثر ، صغر ذلك الشيء ام كبر . فحبيبات التراب تتراكم ، مكونة تلالاً من التراب . وقطرات الماء تتجمع ، مكونة نهراً ، أو شلالاً . والانسان ، والحيوان اذا مشيا على الأرض ، بانت آثار مشيهما عليها ، وهكذا .

ومن حكمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، ورأفته بعباده ، أنه جعل كل صفة من الصفات الحميدة ، أثراً لصفة حميدة أخرى ، ووسيلة او خطوة للاتصاف بهذه الصفة الأخرى ، كالسلسلة المتصلة الحلقات . فعلى سبيل المثال . صفة او حالة العدل في الانسان ، اذا اتصف الانسان بها ، فانها تؤدي الى خلق صفات حميدة أخرى فيه ، كالتقوى ، والحلم ، والعلم ، والحزم ، والحسم ، وما الى ذلك من الصفات الحسنة ، ومن ذلك نستنتج ان الخير كلّ ، واجزاؤه مرتبطة مع بعضها البعض ، والجزء من الخير يعود الى الجزء الآخر ، وهكذا .

وهكذا ايضا بالنسبة للصفات السيئة ، اذ أن أيّ منها قد يقود الى الاتصاف بواحدة او اكثر من الصفات السيئة الأخرى ، فعلى سبيل المثال : صفة النفاق . اذا اتصف الانسان بها ـ لا سمح الله ـ فانها تؤدي الى خلق صفات سيئة أخرى فيه ، كالكذب ، وعدم احترام الوعود والمواثيق ، والخيانة

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٩١ .

اذا أتمن ، ومن ذلك نستنتج أن الشر كل ، واجزاؤه مرتبطة مع بعضها البعض ، والجزء من الشر قد يعود الى الجزء الآخر منه ، وهكذا .

وهناك شيء في علم التربية ، او في علم النفس التربوي ، يسمى بأمهات الصفات ، أو الصفات الأم ، وهي موجودة في الخير ، وفي الشر ، وفي الصفات الايجابية ، وغير الايجابية .

ولنضرب مثالاً للصفات الايجابية بصفة الاعراض عن دار الدنيا ، والتوله بالدار الآخرة . فاذا اتصف الانسان بهذه الصفة ، فانها تكون أما لكثير من الصفات فيه ، كالزهد ، والقناعة ، والصبر ، والتواضع ، والرضا بقسمة الله ، والحكمة ، و. . . ، وبالتالي تجده يتصف بهذه الصفات النابعة من الصفة الأم . ولنضرب مثالاً للصفات السلبية بصفة حب الذات ، والمقصود الافراط في حب الذات ، وحب الأنا ، والروح الأنانية ، فهذه الصفة أم لكثير من الصفات اللاايجابية ، كالحسد ، والحقد ، والتكبر ، والغرور ، والعجب ، والزهو ، والافتخار ، والظلم ، والطغيان و. . . ، فاذا اتصف الانسان بصفة المبالغة في حب الأنا ، واستسلم لهذا الحب ، فانه يكون معرضاً للاتصاف بالصفات اللاايجابية المترتبة عليه . واذا عالج هذه الصفة فيه ، وجعلها في حدها الطبيعي ، فان الصفات الأخرى الناتجة منها ، تختفي بشكل طبيعي .

والحكمة باعتبارها المعرفة ، او باعتبارها فضيلة أخلاقية ، قد تكون أماً لصفات أخرى ، وأنها تترك آثارها على الانسان الحكيم ، قائدة له الى التحلي بصفات ، وفضائل ، وآثار أخرى .

فما هي آثار الحكمة :

وفي الحقيقة أن آثار الحكمة كثيرة ، ويمكن اعتبار كل صفة ناتجة عن الحكمة اثراً من آثارها ، الا اننا سنقتصر على ذكر ما يلي من الآثار : ـ

أولاً : تلقيح العقل .

من اول امارات الحكمة على الانسان الحكيم ، عقله الذي يتصف بالوسع ، والحصافة ، والذكاء ، والثقافة ، والوعي . والمقصود من تلقيح العقل ، ان يصبح عقل الانسان قوياً ، ناضجاً ، منتجاً ، مستوعباً لما يدور من حوله من امور الحياة ، واحداثها المختلفة .

ويقصد ايضا من تلقيح العقل ، تخلصه من كل ما قد يعلق به من أمراض ، كالجهل بنوعيه : البسيط ، والمركب ، والسفسطائية ، والجدال ، وغيرها من الأمراض الأخرى ، وبالتالي يصبح الانسان ـ عن طريق الحكمة ـ منطقياً ، ناضج العقل ، وذا فهم ، وروية ، ودقة في النظر الى الأمور ، والتعامل معها .

فاذا أردت ان يكون عقلك ملقحاً ، حاول ان تكون حكيماً .

ثانياً : معرفة العبر .

من اهم اثار الحكمة في الانسان الحكيم ، أنها تجعله قادراً على انتزاع المواعظ ، والدروس ، والتجارب ، والعبر من الاحداث الماضية ـ على اختلافها وتعددها ـ والتي ستجري ، وبالتالي يكون قادراً على الاستفادة من التجارب ، فلا يبدأ من الصفر في كل مرة ـ كما يفعل الانسان الذي لا يتعظ بأحداث الحياة ـ وانما يبدأ من حيث ما انتهت اليه تجاربه ، وتجارب الآخرين .

يقول الإمام علي (ع) :

« التجربة تثمر الاعتبار »[1] .

---

(١) شرح الغرر والدرر ـ ج٧ ـ ص٤٢ .

ويقول (ع) :

« السعيد من وعظ بغيره »[1] .

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تعطي للاعتبار بأحوال التاريخ ، والأمم الماضية ، أهمية كبرى ، جاعلة من هذه العبر ، طريقاً من طرق التقدم ، والبقاء للأمة الإسلامية . ومن تلك الآيات القرآنية ما يلي :

يقول تعالى :

﴿وما ارسلنا من قبلك الّا رجالاً نوحي اليهم من أهل القرى ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون﴾[2] .

﴿افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[3] .

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوة وآثارا في الارض ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق﴾[4] .

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، دمّر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها﴾[5] .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٤ ـ ص٤٥٩ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة غافر ، الآية : ٢١ .

(٥) سورة محمد ، الآية : ١٠ .

﴿قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[1] .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾[2] .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، ان الله على كل شيء قدير﴾[3] .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين﴾[4] .

ومن ذلك نستنتج ان القرآن الحكيم يعطي أهمية بارزة للنظر في التاريخ ، واحوال الامم ، والسنن السابقة ، والسنن التي تحدث من حولنا ، وفي بداية الخلق ، والاعتبار بها ، من أجل تلافي الوقوع في الأخطاء ، ومن أجل التقدم ، ونيل رضى الله سبحانه وتعالى .

ولقد اعطت السنة النبوية ، وروايات الائمة (ع) ـ أيضا ـ اهمية كبيرة للتجارب والعبر . وكثيرة هي التي تدعونا الى الاعتبار بالتاريخ ، والاحداث التي تجري من حولنا ، وبعيداً عنّا .

يقول الإمام علي (ع) :

« من بينت له الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين »[5] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٧ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٦٩ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٠ .
(٤) سورة الروم ، الآية : ٤٢ .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٣٩ .

« لا فكر لمن لا اعتبارله ، لا اعتبار لمن لا ازدجار له »[1] .

« الاعتبار يثمر العصمة »[2] .

« من كثر اعتباره ، قل عثاره »[3] .

« ما اكثر العبر ، وأقل الاعتبار ! »[4] .

« قد اعتبر بالباقي من اعتبر بالماضي »[5] .

فاذا أردت ان ترى لمسات الحكمة عليك ، اعتبر .

ثالثاً : ضعف الشهوة .

يقول الإمام علي (ع) :

« كلما قويت الحكمة ، ضعفت الشهوة »[6] .

تقدم في الفصل السابق ان من مورثات الحكمة ، ومسبباتها ، غلبة الشهوة . فاذا كانت غلبة الشهوة من عوامل حدوث الحكمة في الانسان ، فان ضعف الشهوة وموتها يكون نتيجة ، وثمرة ، وأثراً لتلك الغلبة ، فاذا غلب الانسان شهوته ، فلا شك أنها تضعف أمام عقله ، وارادته ، وتقواه ، وورعه ، وحكمته .

والمقصود بضعف الشهوة التي تحدثه قوة الحكمة ، أن حالة النهم الشهوانية الموجودة في الانسان تخف ، وتضعف ، سواء فيما يرتبط بشهوة

---

(١) المصدر السابق ـ ص٣٩ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٣٨ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٣٨ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٣٧ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٣٦ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٣٩ .

الجنس ، او الأكل والشرب ، أو حب الأولاد ، أو التملك ، او السلطة ، وما شابه ذلك من الشهوات والغرائز . ويصبح عقل الانسان ـ بالحكمة ـ هو المسيطر ، والموجه ، والمقنن لهذه الشهوات ، وليس العكس .

ويفهم من ضعف الشهوة الذي يترتب على قوة الحكمة ، هو وضعها في اطارها الصحيح ، المحدد من قبل الشرع ، وبوضعها هكذا تكون محجمة ، ومؤطرة في اطارها ، وبالتالي تصبح مغلوبة من قبل عقل الانسان ، ومنقادة له .

وقد يفهم من ضعف الشهوة ايضا ، أن الحكمة قد تخلق في الانسان حالة روحية من الزهد والمعرفة الحقّة ، تجعله ينظر الى هذه الشهوات بأنها مؤقتة ، فانية ، لأنها جزء من الدنيا الفانية . وبذلك فان حالة الزهد هذه تؤدي الى ضعف الشهوة ، والسيطرة عليها .

فاذا أردت أن تسيطر على شهواتك ، وتنتصر عليها ، حريّ بك ان تلتحق بركب الحكماء ، وقطارهم .

رابعاً : الصبر على مباينة الأضداد .

ومن آثار الحكمة أنها تخلق في الانسان حالة من الصبر على مفارقة ، وهجران الأمور المخالفة للعقل والأخلاق الفاضلة . فمن يكون حكيماً يصبر على الابتعاد عن الطمع ، الذي هو ضد القناعة ، وعن الجبن الذي هو ضد الشجاعة ، وعن البخل الذي هو ضد الكرم ، وعن التكبر الذي هو ضد التواضع ، وعن الجزع الذي هو ضد الصبر ، وعن الكذب الذي هو ضد الصدق ، وهكذا .

وصبر الانسان على مباينة هذه الاضداد لا يضيع هدراً ، وانما له ثمن في الدنيا ، والآخرة . ففي الدنيا النجاح والسعادة ، وفي الآخرة الجنة ، والخلود .

يقول الشاعر :

من طلب العلى سهر الليالي يغوص البحر من طلب اللآلىء

فلكي ترى آثار الحكمة على نفسك ، اعمل على أن تباين أضداد الأخلاق الحميدة .

خامساً : الوقار ، والهيبة .

يقول الإمام علي (ع) :

« من عرف بالحكمة ، لحظته العيون بالوقار ، والهيبة »[1] .

ومن آثار الحكمة على الانسان أنها تجعله يكبر في أعين وانظار الآخرين ، ويصبح محترماً مكرماً عندهم ، وذا شخصية قوية ، مقدرة ، ومحترمة ، ومؤثرة .

فاذا أردت أن تصبح ذا وقار ، وهيبة ، فاعمل على ان تكون حكيماً في حياتك .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩١ .

من صفات الشخصية الحكيمة

يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله :

« كاد الحكيم ان يكون نبياً »[1] .

تقدم ان الحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، وبما ان الانبياء حكماء ، ومعصومون فيهم يضعون الاشياء مواضعها .

والحكماء باعتبار انهم يسيرون على هدى العقل ، وعلى هدى الانبياء ، ويقتدون بهم ، فان صفات ، ومهارات كثيرة تتواجد فيهم ، ويفتقر اليها غيرهم .

وعلى هذا فان الشخصية الحكيمة تتميز بمجموعة كبيرة من الصفات ، والمهارات ، منها ما يلي :

١ ـ العقل .

٢ ـ العلم .

(١) ميزان الحكمة ـ ج٢ ـ ص٤٩١ .

٣ ـ الذكاء .

٤ ـ الفطنة .

٥ ـ البصيرة النافذة .

٦ ـ الفهم .

٧ ـ العدل .

٨ ـ الاخلاق الحسنة عموما .

٩ ـ الصمت .

١٠ ـ التفكر .

١١ ـ الصدق .

١٢ ـ الأمانة .

١٣ ـ الحلم .

١٤ ـ التواضع .

١٥ ـ الزهد في الدنيا .

١٦ ـ الصوم .

١٧ ـ حفظ اللسان .

١٨ ـ الاعتدال في الاكل .

١٩ ـ التبصر في عيوب النفس .

٢٠ ـ الانشغال عن عيوب الغير .

٢١ ـ الغلبة على الشهوة .

٢٢ ـ اجمال الكلام .

٢٣ ـ ترك ما لا يعني .

٢٤ ـ غض البصر عما حرم الله .

٢٥ ـ الرفق بالناس .

٢٦ ـ القوة امام اعداء الله ودينه .

٢٧ ـ الاعتبار بأحداث الحياة .

٢٨ ـ الوقار عند الهزائز .

٢٩ ـ الصبر عند البلاء .

٣٠ ـ الحزم .

٣١ ـ الحسم .

٣٢ ـ الشجاعة .

٣٣ ـ المعاشرة الحسنة مع الناس .

٣٤ ـ التعامل الحسن مع الناس ، والقدرة على كسبهم والتأثير فيهم .

٣٥ ـ التمتع بنصيب اكبر من المشاركة الوجدانية للناس .

٣٦ ـ الثقة بالنفس .

٣٧ ـ عدم الابتذال بالانبساط الى غير حميم .

٣٨ ـ عدم قصد الحاجة عند غير كريم .

٣٩ ـ المعاشرة بالمعروف لمن لابد من معاشرته .

٤٠ ـ عدم الانزعاج من قول الزور فيه .

٤١ ـ عدم الرضا بثناء الجاهل .

٤٢ ـ مداراة من لا يوجد بد من مداراته .

٤٣ ـ التفاؤل .

٤٤ ـ تضمين الحديث طرائف الحكم .

٤٥ ـ النشاط الدائم في العمل .

٤٦ ـ الامتزاج الاجتماعي بالآخرين .

٤٧ ـ القراءة الكثيرة ، والدراسة لزيادة المعلومات .

٤٨ ـ طلاقة اللسان .

٤٩ ـ انتقاء الكلمات ، واستعمالها بسهولة .

٥٠ ـ نظافة الثياب ، وكثرة العناية .

٥١ ـ الضحك من كل القلب .

٥٢ ـ الاصغاء بسهولة ويسر .

٥٣ ـ وعي كلام المحدث .

٥٤ ـ تعدد الاصدقاء الحميمين .

٥٥ ـ تفضيل الصداقات العميقة .

٥٦ ـ ترك الجدال .

٥٧ ـ الابتسام بسهولة ويسر مرات عديدة حين التحدث الى الآخرين .

٥٨ ـ السرعة في ابداء ملاحظات الثناء على الآخرين ابان وجودهم .

٥٩ ـ الاعتناء بتلافي جرح شعور الآخرين ، والحرص على عدم اعطاء فكرة سيئة عن النفس .

٦٠ ـ جمع النكات ، والقصص ، وتضمين الحديث بها غالباً .

٦١ ـ الجدية في جميع الاعمال مع الآخرين ، والعلاقات بهم .

وبما ان « رأس الحكمة ، مخافة الله » ومخافته ، تقواه وخشيته فان صفات المؤمنين المتقين هي صفات الحكماء .

وصفات المتقين[1] كما يبينها امير المؤمنين عليه السلام هي كالتالي :

١ ـ منطقهم الصواب .

٢ ـ وملبسهم الاقتصاد .

٣ ـ ومشيهم التواضع .

٤ ـ غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم .

٥ ـ ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم .

٦ ـ نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء .

٧ ـ ولولا الاجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين ، شوقاً الى الثواب ، وخوفاً من العقاب .

٨ ـ عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم .

٩ ـ فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون .

---

(١) تحف العقول ـ ص١٠٧ ـ ١٠٩ .

١٠ ـ وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون .

١١ ـ قلوبهم محزونة .

١٢ ـ وشرورهم مأمونة .

١٣ ـ واجسادهم نحيفة .

١٤ ـ وحاجاتهم خفيفة .

١٥ ـ وانفسهم عفيفة .

١٦ ـ صبروا اياماً قصيرة ، اعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم .

١٧ ـ ارادتهم الدنيا فلم يريدوها ، واسرتهم فغدوا انفسهم منها .

١٨ ـ اما الليل فصافون اقدامهم .

١٩ ـ تالين لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يحزنون به انفسهم ، ويستبشرون به دواء دائهم .

٢٠ ـ فاذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنّوا انها نصب أعينهم .

٢١ ـ واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول اذانهم .

٢٢ ـ فهم حانون على اوساطهم .

٢٣ ـ مفترشون لجباههم ، واكفهم ، وركبهم ، واطراف اقدامهم ، يطلبون الى الله تعالى فكاك رقابهم .

٢٤ ـ واما النهار فحلماء .

٢٥ ـ علماء .

٢٦ ـ ابرار .

٢٧ ـ اتقياء .

٢٨ ـ قد براهم الخوف بري القداح .

٢٩ ـ ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرضى ، ويقول : لقد خولطوا ! ولقد خالطهم امر عظيم .

٣٠ ـ لا يرضون من اعمالهم القليل .

٣١ ـ ولا يستكثرون الكثير .

٣٢ ـ فهم لانفسهم متهمون .

٣٣ ـ ومن اعمالهم مشفقون .

٣٤ ـ اذا زكي احد منهم خاف مما يقال له ، فيقول : انا اعلم بنفسي من غيري ، وربي اعلم بي مني بنفسي ! اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني افضل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون .

٣٥ ـ فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين .

٣٦ ـ وحزما في لين .

٣٧ ـ وايماناً في يقين .

٣٨ ـ وحرصاً في علم .

٣٩ ـ وعلماً في حلم .

٤٠ ـ وقصداً في غنى .

٤١ ـ وخشوعاً في عبادة .

٤٢ ـ وتجملاً في فاقة .

٤٣ ـ وصبراً في شدة .

٤٤ ـ وطلباً في حلال .

٤٥ ـ ونشاطاً في هدى .

٤٦ ـ وتحرجاً عن طمع .

٤٧ ـ يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجلّ .

٤٨ ـ يمسي وهمه الشكر .

٤٩ ـ ويصبح وهمه الذكر .

٥٠ ـ يبيت حذراً ويصبح فرحاً ، حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة .

٥١ ـ ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما تحب .

٥٢ ـ قرة عينه فيما لا يزول .

٥٣ ـ وزهادته فيما لا يبقى .

٥٤ ـ يمزج الحلم بالعلم .

٥٥ ـ والقول بالعمل .

٥٦ ـ تراه قريباً أمله .

٥٧ ـ قليلاً زلله .

٥٨ ـ خاشعاً قلبه .

٥٩ ـ قانعة نفسه .

٦٠ ـ منزوراً أكله .

٦١ ـ سهلاً أمره .

٦٢ ـ حريزاً دينه .

٦٣ ـ ميتة شهوته .

٦٤ ـ مكظوماً غيظه .

٦٥ ـ الخير منه مأمول .

٦٦ ـ والشر منه مأمون .

٦٧ ـ ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين .

٦٨ ـ وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين .

٦٩ ـ يعفو عمن ظلمه .

٧٠ ـ ويعطي من حرمه .

٧١ ـ ويصل من قطعه .

٧٢ ـ بعيداً فحشه .

٧٣ ـ ليناً قوله .

٧٤ ـ غائباً منكره .

٧٥ ـ حاضراً معروفه .

٧٦ ـ مقبلاً خيره .

٧٧ ـ مدبراً شره .

٧٨ ـ في الزلازل وقور .

٧٩ ـ وفي المكاره صبور .

٨٠ ـ وفي الرخاء شكور .

٨١ ـ لا يحيف على من يبغض .

٨٢ ـ ولا يأثم فيمن يحب .

٨٣ ـ يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه .

٨٤ ـ لا يضيع ما استحفظ .

٨٥ ـ ولا ينسى ما ذُكّر .

٨٦ ـ ولا ينابز بالالقاب .

٨٧ ـ ولا يضار بالجار .

٨٨ ـ ولا يشمت بالمصائب .

٨٩ ـ ولا يدخل في الباطل .

٩٠ ـ ولا يخرج من الحق .

٩١ ـ ان صمت لم يغُمّه صمته .

٩٢ ـ وان ضحك لم يعلُ صوته .

٩٣ ـ وان بغي عليه ، صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له .

٩٤ ـ نفسه منه في عناء .

٩٥ ـ والناس منه في راحة .

٩٦ ـ اتعب نفسه لآخرته .

٩٧ ـ وأراح الناس من نفسه .

٩٨ ـ بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة .

٩٩ ـ ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة .

١٠٠ ـ ليس تباعده بكبر وعظمة .

١٠١ ـ ولا دنوه بمكر وخديعة .

كما ان اضداد صفات المقصرين المروية عن امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ايضا هي صفات الحكماء ، وصفات المقصرين[1] ـ والمفرد مقصر ـ هي كالتالي :

ـ يرجو الآخرة بغير عمل .

٢ ـ يرجى التوبة بطول الامل .

٣ ـ يقول في الدنيا قول الزاهدين ، ويعمل فيها عمل الراغبين .

٤ ـ ان اعطي منها لم يشبع .

٥ ـ وان منع لم يقنع .

---

(١) تحف العقول ـ ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

٦ ـ يعجز عن شكر ما اوتي .

٧ ـ ويبتغي الزيادة فيما بقي .

٨ ـ ينهى الناس ، ولا ينتهي .

٩ ـ يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم .

١٠ ـ ويبغض المسيئين ، وهو منهم .

١١ ـ ويكره الموت لكثرة سيئاته ، ولا يدعها في حياته .

١٢ ـ يقول : كم اعمل فأتعنّى ، الا اجلس فأتمنى ؟

١٣ ـ فهو يتمنى المغفرة ، ويدأب في المعصية ، وقد عُمر ما يتذكر فيه من تذكر .

١٤ ـ يقول فيما ذهب : لو كنت عملت ، ونصبت لكان خيراً لي ، ويضيعه غير مكترث ، لاهياً .

١٥ ـ ان سقم ، ندم على التفريط في العمل .

١٦ ـ وان صح ، أمن مغترّاً .

١٧ ـ يؤخر العمل .

١٨ ـ تعجبه نفسه ما عوفي .

١٩ ـ ويقنط اذا ابتلي .

٢٠ ـ تغلبه نفسه على ما يظن .

٢١ ـ ولا يغلبها على ما يستيقن .

٢٢ ـ لا يقنع من الرزق بما قسم له .

٢٣ ـ ولا يثق منه بما قد ضمن له .

٢٤ ـ ولا يعمل من العمل بما فرض عليه .

٢٥ ـ فهو من نفسه في شك .

٢٦ ـ ان استغنى بطر وفتن .

٢٧ ـ وان افتقر قنط ووهن .

٢٨ ـ فهو من الذنب والنعمة موفر .

٢٩ ـ ويبتغي الزيادة ، ولا يشكر .

٣٠ ـ ويتكلف من الناس ما لا يعنيه .

٣١ ـ ويصنع من نفسه ما هو اكثر .

٣٢ ـ ان عرضت له شهوة واقعها باتكال على التوبة ، وهو لا يدري كيف يكون ذلك .

٣٣ ـ لا تغنيه رغبته .

٣٤ ـ ولا تمنعه رهبته .

٣٥ ـ ثم يبالغ في المسألة حين يسأل .

٣٦ ـ ويقصر في العمل .

٣٧ ـ فهو بالقول مدلّ .

٣٨ ـ ومن العمل مُقل .

٣٩ ـ يرجو نفع عمل ما لم يعمله .

٤٠ ـ ويأمن عقاب جرم قد عمله .

٤١ ـ يبادر من الدنيا الى ما يفنى .

٤٢ ـ ويدع جاهداً ما يبقى .

٤٣ ـ وهو يخشى الموت .

٤٤ ـ ولا يخاف الفوت .

٤٥ ـ يستكثر من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه .

٤٦ ـ ويستكثر من طاعته ما يحتقره من غيره .

٤٧ ـ يخاف على غيره بأدنى من ذنبه .

٤٨ ـ ويرجو لنفسه بأدنى من عمله .

٤٩ ـ فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن .

٥٠ ـ يؤدي الامانة ما عوفي وارضي .

٥١ ـ والخيانة اذا سخط وابتلي .

٥٢ ـ اذا عوفي ظن انه قد تاب .

٥٣ ـ وان ابتلى ظن انه قد عوقب .

٥٤ ـ يؤخر الصوم .

٥٥ ـ ويعجل النوم .

٥٦ ـ لا يبيت قائماً .

٥٧ ـ ولا يصبح صائماً .

٥٨ ـ يصبح وهمته الصبح ، ولم يسهر .

٥٩ ـ ويمسي وهمته العشاء ، وهو مفطر .

٦٠ ـ يتعوذ بالله ممن هو دونه ، ولا يتعوذ ممن هو فوقه .

٦١ ـ ينصب الناس لنفسه .

٦٢ ـ ولا ينصب نفسه لربه .

٦٣ ـ النوم مع الاغنياء أحب اليه من الركوع مع الضعفاء .

٦٤ ـ يغضب من اليسير .

٦٥ ـ ويعصي في الكثير .

٦٦ ـ يعزف لنفسه على غيره ، ولا يعزف عليها لغيره .

٦٧ ـ فهو يحب ان يطاع ولا يعصى .

٦٨ ـ ويستوفي ولا يوفي .

٦٩ ـ يرشد غيره .

٧٠ ـ ويغوي نفسه .

٧١ ـ ويخشى الخلق في غير ربه ، ولا يخشى ربه في خلقه .

٧٢ ـ يعرف ما انكر .

٧٣ ـ وينكر ما عرف .

٧٤ ـ ولا يحمد ربه على نعمه .

٧٥ ـ ولا يشكر على مزيد .

٧٦ ـ ولا يأمر بالمعروف .

٧٧ ـ ولا ينهى عن منكر .

٧٨ ـ فهو دهره في لبس .

٧٩ ـ ان مرض اخلص وتاب .

٨٠ ـ وان عوفي نسى وعاد .

٨١ ـ فهو ابدا عليه ولا له .

٨٢ ـ لا يدري عمله الى ما يؤديه اليه ، حتى متى والى متى .

وفي الحقيقة والواقع اننا انا ، وانت ، والآخرون مدعوّون لخلق هـذه الصفات في انفسنا فاذا اردنا ان نكون حكماء فلنعمل على ان نعرض انفسنا عليها ، ونقيس شخصياتنا بها ، فاذا كنا في تقدم وصعود فلنزدد ، واذا كنا في تأخر وهبوط ـ لا سمح الله ـ فلنندم ، ولنصعد .

احاديث شيقة في الشخصية الحكيمة

« العاقل من وعظته التجارب »[1] . (الإمام علي) .

« العاقل يطلب الكمال ، الجاهل يطلب المال »[2] . (الإمام علي) .

« العاقل من احرز أمره »[3] . (الإمام علي) .

« العاقل من صدقت اقواله ، أفعاله »[4] . (الإمام علي) .

« العاقل من وقف حيث عرف »[5] . (الإمام علي) .

« العاقل من عقل لسانه »[6] . (الإمام علي) .

« العاقل من يزهد فيما يرغب فيه الجاهل »[7] . (الإمام علي) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤١٤ .

(٢) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .

(٣) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .

(٤) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .

(٥) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .

(٦) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .

(٧) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .

« العاقل من احسن صنائعه ، ووضع سعيه في مواضعه »[1] . (الإمام علي) .

« العاقل من اتهم رأيه ، ولم يثق بكل ما تسوّل له نفسه »[2] . (الإمام علي) .

« العاقل من سلّم الى القضاء ، وعمل بالحزم »[3] . (الإمام علي) .

« العاقل من صان لسانه عن الغيبة »[4] . (الإمام علي) .

« العاقل لا يتكلم الا بحاجته او بحجته ، ولا يشتغل الاّ بصلاح آخرته » [5] . (الإمام علي) .

« العاقل اذا سكت فكّر ، واذا نطق ذكر ، واذا نظر اعتبر » [6] . (الإمام علي) .

« العاقل يعتمد على عمله ، الجاهل يعتمد على أمله »[7] . (الإمام علي) .

« العاقل يجتهد في عمله ، ويقصّر من أمله »[8] . (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤١٤ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .

« العاقل لا يفرط به عنف ، ولا يقعد به ضعف »[1] . (الإمام علي) .

« العاقل يتقاضى نفسه بما يجب عليه ، ولا يتقاضى غير لنفسه بما يجب له »[2] . (الإمام علي) .

« العاقل لا يستخف بأحد »[3] . (الإمام علي) .

« اعقل الناس اشدهم مداراة للناس »[4] . (الرسول الاعظم) .

« العاقل اذا علم عمل ، واذا عمل اخلص »[5] . (الإمام علي) .

« العاقل من كان ذلولاً عند اجابة الحق »[6] . (الإمام الصادق) .

« العاقل لا يتحدث بما ينكره العقل ، ولا يتعرض للتهمة »[7] . (الإمام الصادق) .

« العاقل يألف مثله ، الجاهل يميل الى شكله »[8] . (الإمام علي) .

« العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه ، ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يقدم على ما يخاف العذر منه ، ولا يرجو من لا يوثق به »[9] . (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٢٣ .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤١٤ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .

« ان العاقل ليتعظ بالادب ، والبهائم لا تتعظ الّا بالضرب »[1] . (الإمام علي) .

« ان العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به ، واكثر الصواب في خلاف الهوى »[2] . (الإمام علي) .

« ان العاقل رضي بالدّون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدّون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارتهم »[3] . (الإمام الكاظم) .

« ان العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ، ولا يغلب الحرام صبره »[4] . (الإمام الكاظم) .

« لكل شيء دليل ، ودليل العاقل التفكر ، ودليل التفكر الصمت ، ولكل شيء مطية ، ومطية العاقل التواضع »[5] . (الإمام الكاظم) .

« ثروة العاقل في علمه ، ثروة الجاهل في ماله وأمله »[6] . (الإمام علي) .

« نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل »[7] . (الإمام علي) .

« كلام العاقل قوت ، وجواب الجاهل سكوت »[8] . (الإمام علي) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤١٥ .
(٣) الاصول من الكافي ـ ج١ ـ ص١٧ .
(٤) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤١٦ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤١٦ .
(٦) الغرر والدرر .
(٧) المصدر السابق .
(٨) المصدر السابق .

« صدر العاقل صندوق سرّه »[1] . (الإمام علي) .

« لا يلسع العاقل من جحر مرتين »[2] . (الإمام الصادق) .

« غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله »[3] . (الإمام علي) .

« صفة العاقل ان يحلم عمن جهل عليه ، ويتجاوز عمّن ظلمه ، ويتواضع لمن هو دونه ، ويسابق من فوقه في طلب البرّ ، واذا اراد أن يتكلم تدبر ، فان كان خيراً تكلم فغنم ، وان كان شراً سكت فسلم ، واذا عرضت له فتنة استعصم بالله ، وامسك يده ولسانه ، واذا رأى فضيلة انتهز بها ، لا يفارقه الحياء ، ولا يبدو منه الحرص ، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل »[4] . (الرسول الاعظم) .

« العاقل من وضع الاشياء مواضعها ، والجاهل ضد ذلك »[5] . (الإمام علي) .

« العاقل من لا يضيّع نفَساً فيما لا ينفعه »[6] . (الإمام علي) .

« ضياع العقول في طلب الفضول »[7] . (الإمام علي) .

---

(١) نهج البلاغة ـ حكمة ٦ .
(٢) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤١٦ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤١٦ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤١٦ .
(٥) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤١٧ .
(٦) الغرر والدرر .
(٧) المصدر السابق .

« ما العاقل الاّ من عقل عن الله وعمل لدار الآخرة »[1] . (الإمام علي) .

« ان العاقل من نظر في يومه لغده ، وسعى في فكاك نفسه ، وعمل لما لابد منه ولا محيص له عنه »[2] . (الإمام علي) .

« ان العاقل من أطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر »[3] .

« ان العاقل من تورع عن الذنوب ، وتنزّه عن العيوب »[4] . (الإمام علي) .

« العاقل من غلب هواه ، ولم يبع آخرته بدنياه »[5] . (الإمام علي) .

« العاقل عدو لذته ، والجاهل عبد شهوته »[6] . (الإمام علي) .

« ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، ولكن العاقل من يعرف خير الشرّين »[7] . (الإمام علي) .

« للعاقل في كل عمل ارتياض »[8] . (الإمام علي) .

« للعاقل في كل كلمة نبل »[9] . (الإمام علي) .

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج٦ ـ ص٤١٨ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤١٨ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤١٩ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤١٩ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٦) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٧) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٨) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٩) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .

« على العاقل ان يحصي على نفسه مساويها في الدين ، والرأي ، والاخلاق ، والأدب ، يجمع ذلك في صدره ، او في كتاب ، ويعمل في ازالتها »[1] . (الإمام علي) .

« حق على العاقل ان يستديم الاسترشاد ، ويترك الاستبداد[2] (الإمام علي) .

« لابد للعاقل من ان ينظر في شأنه ، فليحفظ لسانه ، وليعرف أهل زمانه »[3] . (الإمام علي) .

« ثلاثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان ينساهنّ على كل حال : فناء الدنيا ، وتصرف الأحوال ، والآفات التي لا أمان لها »[4] . (الإمام الصادق) .

« ألا وان اعقل الناس عبدٌ عرف ربه فأطاعه ، وعرف عدوّه فعصاه ، وعرف اقامته فأصلحهما، وعرف سرعة رحيله فتزود لها »[5] . (الرسول الاعظم) .

« انقص الناس عقلاً اخوفهم للسلطان ، واطوعهم له » . (الرسول الاعظم) .

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٤٢٠ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٤٢٢ .
(٥) المصدر السابق ـ ص٤٢٢ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
تقديم	٧
تعريف الحكمة	١١
أحاديث شريفة في العقل والحكمة	٢١
الحكمة في القرآن الحكيم	٣١
الحكمة في السنة الشريفة	٥١
الحكمة والعلم وعلاقتهما بالعمل	٧١
بين الأخلاق ، والحكمة	١٠٧
أحاديث شريفة في الأخلاق	١٢٥
موانع التصرف الحكيم	١٣١
لكي ترث الحكمة	١٤٣
من آثار الحكمة	١٩٩
من صفات الشخصية الحكيمة	٢٠٩
أحاديث شريفة في الشخصية الحكيمة	٢٢٥

دار الأوجام
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

السرويس - خلف ستر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨/ ٧/ ٨٢٣٥٢٦ - ٨٢٣٠٨٩ ص ب ٩٧/ ٢٥ و ٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان